الرحلات البرازيلية

في تشرق البرازيل

بقلم

محمد بن ناصر العبودي

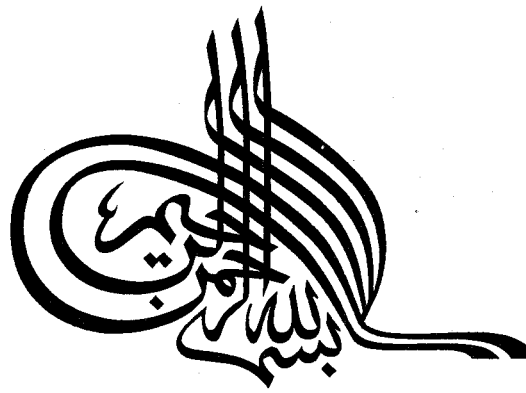
بسم الله الرحمن الرحيم

ⓒ محمد بن ناصر العبودي ، ١٤٢٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العبودي ، محمد بن ناصر

في شرق البرازيل .ـ الرياض .

... ص ، .. سم

ردمك : ٢-٨٤٠-٣٥-٩٩٦٠

١- البرازيل ـ وصف ورحلات أ- العنوان

ديوي ٩١٨،١٠٤ ٢٠/٠٥٤٤

رقم الإيداع : ٢٠/٠٥٤٤

ردمـك : ٢-٨٤٠-٣٥-٩٩٦٠

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية

براءة

تكريم الأدباء السعوديين

معالي وزير المعارف والرئيس الأعلى لجامعة الملك عبد العزيز - بناء على الصلاحيات المخولة له وبناء على المادة التاسعة والعشرين من نظام الجامعة وبعد الاطلاع على محضر مجلس الجامعة الثالث المنعقد بتاريخ ٥ / ٣ / ١٣٩٤ والمبني على توصيات اللجنة الفنية المنبثقة عن المؤتمر الأول للأدباء السعوديين لتكريم الأدباء.

قد منح السيد / محمد بن ناصر العبودي ميدالية الاستحقاق تكريما لجهوده وانتاجه الفكري

والله ولي التوفيق.

صدرت بمكة المكرمة في ٥ / ٣ / ١٣٩٤هـ
الموافق ٢٨ / ٣ / ١٩٧٤م

وزير المعارف
والرئيس الأعلى للجامعة

مدير الجامعة

فهرس المدارك

صورة عن شهادة التكريم التي حصل عليها المؤلف

كتب مطبوعة في الرحلات للمؤلف

(١) في إفريقية الخضراء: مشاهدات وانطباعات وأحاديث عن الإسلام والمسلمين - بيروت دار الثقافة ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

(٢) رحلة إلى جزر مالديف إحدى عجائب الدنيا -الرياض دار العلوم ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

(٣) مدغشقر بلاد المسلمين الضائعين - الرياض النادي الأدبي١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

(٤)جولة في جزائر البحر الزنجي أوحديث عن الإسلام والمسلمين وجزر المحيط الهندي - الرياض - المطابع الأهلية للأوفست ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

(٥) رحلة إلى سيلان - الرياض - جمعية الثقافة والفنون ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م

(٦) صلة الحديث عن إفريقية مشاهدات وانطباعات وأحاديث عن الإسلام والمسلمين - الرياض - دار العلوم ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٧) مشاهدات في بلاد العنصريين، رحلة إلى جنوب إفريقية وحديث في شؤون المسلمين - بريدة - نادي القصيم الأدبي ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٨) إطلالة على نهاية العالم الجنوبي - مكة المكرمة - نادي مكة الثقافي ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٩) زيارة لسلطنة بروناي الإسلامية - الرياض - المؤلف ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

(١٠) شهر في غرب إفريقية مشاهدات وأحاديث عن المسلمين - الرياض

المؤلف ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

(١١) في نيبال بلاد الجبال، رحلة وحديث في شؤون المسلمين - الرياض - مطابع الفرزدق ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(١٢) رحلات في أمريكا الوسطى - الرياض - المطابع الأهلية للأوفست ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(١٣) إلى أقصى الجنوب الأمريكي رحلة في الأرجنتين وتشيلي - الرياض المؤلف ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(١٤) على ضفاف الأمازون، رحلة في المنطقة الاستوائية من البرازيل - نشره النادي الأدبي في أبها ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(١٥) على قمم جبال الأنديز - الرياض مطابع الفرزدق التجارية ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(١٦) في غرب البرازيل - الرياض - مطابع الفرزدق التجارية ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

(١٧) في بلاد المسلمين المنسيين: بخارى وما وراء النهر - طبع في مطابع الفرزدق التجارية عام ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

(١٨)بقية الحديث عن إفريقية - مطابع الفرزدق التجاريةفي الرياض عام١٤١٢هـ.

(١٩) جولة في جزائر البحر الكاريبي - مطابع الرياض الأهلية للأوفست عام ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(٢٠) جولة في جزائر جنوب المحيط الهادي - مطابع الفرزدق في الرياض عام ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(٢١)داخل أسوار الصين (مجلدان) - مطابع الفرزدق التجارية - الرياض عام ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٢) بلاد الداغستان - طبع مطابع الفرزدق التجارية بالرياض عام ١٤١٣هـ.

(٢٣) الرحلة الروسية - مطابع الفرزدق عام ١٤١٤هـ.

(٢٤) مع المسلمين البولنديين - مطابع الفرزدق في الرياض عام ١٤١٣هـ.

(٢٥) جمهورية أذربيجان - طبع مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٦) في أعماق الصين الشعبية - نشرته مجلة المنهل.

(٢٧) بين الأرغواي والبارغواي - مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٨) بورما الخبر والعيان - طبع بيروت عام ١٤١٢هـ.

(٢٩) مقال عن بلاد البنغال - طبع بالرياض عام ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٣٠) ذكريات من يوغسلافيا - مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٣١) كنت في بلغاريا - مطابع الفرزدق عام ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٣٢) في جنوب الصين - طبع رابطة العالم الإسلامي بمطبعتها في مكة

المكرمة عام ١٤١٤هـ.

(٣٣)كنت في ألبانيا - مطابع الفرزدق التجارية بالرياض عام ١٤١٤هـ.

(٣٤) ذكرياتي في إفريقية - محاضرة طبعتها رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة.

(٣٥) أيام في النيجر - طبع بيروت عام ١٤١٤هـ.

(٣٦) على أرض القهوة البرازيلية - مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٥هـ.

(٣٧) نظرة في شرق أوربا وحالة المسلمين بعد الشيوعية - طبع بيروت عام ١٤١٤هـ.

(٣٨) بين غينيا بيساو وغينيا كوناكرى - مطابع الفرزدق التجارية عام ١٤١٤هـ.

(٣٩) من أنقولا إلى الرأس الأخضر - مطابع الفرزدق بالرياض عام ١٤١٤هـ.

(٤٠) سياحة في كشمير - مطابع الفرزدق عام ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

(٤١) يوميات آسيا الوسطى - مطابع الفرزدق التجارية عام ١٤١٤هـ.

(٤٢) نظرة في وسط إفريقية - مطابع الفرزدق عام ١٤١١هـ/١٩٩١م.

(٤٣) بلاد القرم - نشرته دار القبلة في جدة.

(٤٤) قصة سفر في نيجيريا (مجلدان) - مطابع الفرزدق التجارية في

الرياض.

(٤٥) حديث قازاقستان - نشرته دار القبلة في جدة (تحت الطبع).

(٤٦) المسلمون في لاوس وكمبوديا: رحلة ومشاهدات ميدانية - نشرته رابطة العالم الإسلامي في سلسلة دعوة الحق، وطبعته في مطبعتها عام ١٤١٦هـ.

(٤٧) في جنوب الهند من سلسلة الرحلات الهندية - طبع في مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٧هـ.

(٤٨) رحلات في أمريكا الجنوبية: غيانا وسورينام.

(٤٩) إطلالة على أستراليا - طبع في مطابع التقنية للأوفست - الرياض عام ١٤١٧هـ.

(٥٠) أيام في فيتنام - نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٧هـ.

(٥١) في غرب الهند - من سلسلة الرحلات الهندية - نشرته رابطة العالم الإسلامي عام ١٤١٧هـ.

(٥٢) إطلالة على موريتانيا - نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٧هـ.

(٥٣) حديث قيرغيزستان، دراسة في ماضيها ومشاهدات ميدانية - نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

(٥٤) زيارة رسمية لتايوان. نشر دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام

١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

(٥٥) سطور من المنظور والمأثور عن بلاد التكرور - مطابع الفرزدق التجارية بالرياض.

(٥٦) راجستان: بلاد الملوك - مطابع الفرزدق التجارية بالرياض عام ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

(٥٧) في شرق البرازيل، وهو هذا الكتاب.

(٥٨) هندوراس ونيكاراقوا وكوستاريكا (من سلسلة الرحلات في جمهوريات الموز).

(٥٩) شرق الهند (من سلسلة الرحلات الهندية).

مؤلفاته المطبوعة في غير فن الرحلات

(٦٠) معجم بلاد القصيم (في ستة مجلدات) - نشرته دار اليمامة بالمطابع الأهلية للأفست بالرياض عام ١٣٩٩هـ، ثم طبع مرة أخرى في عام ١٤١٠هـ.

(٦١) أخبار أبي العيناء اليمامي - طبع في الرياض وبيروت عام ١٣٩٨هـ.

(٦٢) الأمثال العامية في نجد (خمسة مجلدات) ساعدت دارة الملك عبد العزيز في الرياض على طبعه، ونشرته دار اليمامة للطبع والنشر عام ١٣٩٨هـ.

(٦٣) كتاب الثقلاء - نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون في سلسلة الكتاب السعودي.

(٦٤) نفحات من السكينة القرآنية - طبع أكثر من مرة آخرها طبعة لوزارة المعارف لتوزيعها على مكتبات المدارس - نشرته دار العلوم في الرياض عام ١٤٠٣هـ.

(٦٥) مأثورات شعبية - نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون في سلسلة الكتاب السعودي.

(٦٦) سوانح أدبية - طبع مطابع الفرزدق التجارية بالرياض عام ١٤٠٥هـ.

(٦٧) صور ثقيلة - مطابع الفرزدق التجارية بالرياض عام ١٤٠٥هـ.

(٦٨) العالم الإسلامي والرابطة - نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبع في مطبعتها عام ١٤١٤هـ.

(٦٩) نظرة إلى العلاقات العربية مع أهالي جنوب الصحراء - مطابع التقنية في الرياض عام ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

(٧٠) المقامات الصحراوية - مطابع التقنية في الرياض عام ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م

تصدير

بلاد البرازيل: واسعة النواحي، شاسعة المسافات، وعندما كتبت كتابي الأول عن عدد من المدن البرازيلية المعروفة التي كنت قد زرتها أسميته: (الحل والرحيل، في بلاد البرازيل)، واعتزمت أن أضم إليه ما عسى أن أكتبه عندما أقوم بزيارات لمدن ونواحٍ أخرى من بلاد البرازيل.

وقد قمت بالفعل بعد تسمية ذلك الكتاب برحلات متعددة إلى مدن جديدة بالنسبة إليَّ في تلك الدولة.

ولما ضممت ما كتبته عنها إلى ما كنت كتبته من قبل عن البرازيل صار الكتاب كبير الحجم، طويل الذيل، مما استدعى مني أن أفصله إلى أكثر من كتاب ابتغاء للتيسير على القراء، والتماساً لسهولة تناوله منهم.

فقد أخبرني بعض الناشرين لكتبي أنهم يفضلون نشر ما صار القراء يرغبون في اقتنائه، وهو الكتاب اللطيف الحجم، اليسير الثمن.

فجعلت كتاب: (الحل والرحيل، إلى بلاد البرازيل) عدة كتب، إلا أنه لا يزال رغم ما فصلته عنه، وأخذته من كتب تتعلق بنواحٍ متميزة في البرازيل كتاباً كبيراً قائما بذاته.

وكان من الكتب التي تفرعت منه: (على ضفاف الأمازون)، و(في

غـرب الـبرازيل)، و(علـى أرض القهـوة البرازيلـة)، و(في جنـوب البرازيل). وهذا الكتاب: (في شرق البرازيل).

سبب الرحلة:

سبب الرحلة في شرق البرازيل هو الرغبة في الاطلاع على المزيد من البلاد البرازيلية، وأما سبب الحضور إلى البرازيل في هذه المرة، فهو أننا عقدنا مؤتمراً إسلامياً في مدينة برازيليا عاصمة البلاد، خصصناه لبحث أمور المسلمين في القارة الأمريكية الجنوبية، وكان أكثر الحاضرين فيه هم من أهل البرازيل، لأنهم أكثر عدداً، وانشط للعمل الإسلامي من أخوتهم المسلمين في أقطار أمريكا الجنوبية، حاشا غيانا وسور ينام، وذلك المؤتمر كنت اتفقت على عقده مع سفير المملكة العربية السعودية في البرازيل؛ الأستاذ عبد الله الحبابي بصفتي ممثلاً لرابطة العالم الإسلامي، ووظيفتي فيها هي الأمين العام المساعد، وقررنا أن يكون باسم الرابطة، وأن تتولى الانفاق عليه، ولكن تساعد السفارة على أقامته بنفوذ السفير وتجربته وعلاقاته الحميمة بالمسئولين في البلاد، وقد أقمناه بالفعل.

وعند انتهاء المؤتمر عزمت أنا وصديقي الشيخ عبد العزيز المسند، وكنا دعوناه لإلقاء محاضرات في ذلك المؤتمر على المرور بمدينتي (سلفادور) و(رصيفي) في شرق البرازيل، وأن نسافر من (رصيفي) إلى باريس بدلاً من أن نسافر إلى باريس من (ريودي جانيرو) الثغر العالمي للبرازيل، فحولنا تذاكرنا بحيث صارت من برازيليا إلى (سلفادور)،

فرصيفي ثم باريس.

وذلك لكوني قد خبرت مدينة (ريودي جانيرو) بل قتلتها خبراً، ولم يبق فيها ما أستجلى منه أمراً، وذكرت ذلك كله في كتاب: (الحل والرحيل)، لأنها أول مدينة دخلتها من بلاد البرازيل.

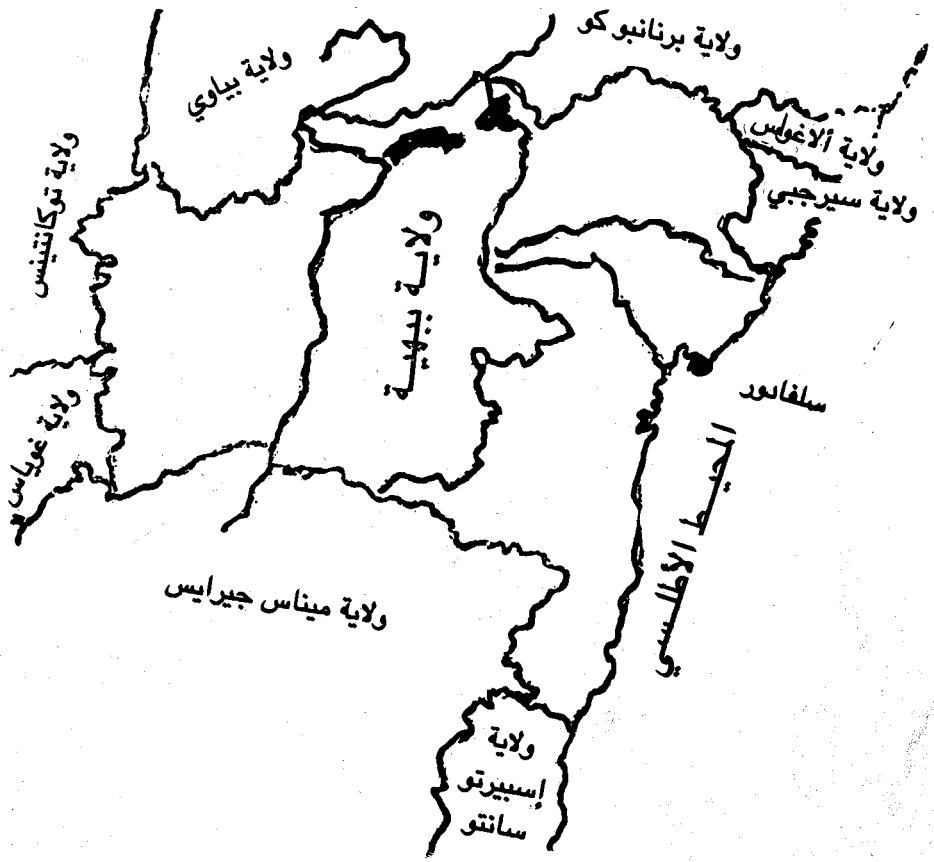

الولايات البرازيلية

ولاية بهية

ولاية (بهية) من أهم الولايات البرازيلية في الناحية السياسية، فقد كانت بهية تقود باقي البرازيل إذ كانت عاصمتها (سلفادور) عاصمة للبرازيل لعقود طويلة من السنين.

ومن ناحية عدد السكان تشغل المرتبة الرابعة بعد (سان باولو) وميناس قراس، وريودي جانيرو، والمراد بذلك ولايات سان باولو وريودي جانيرو ميتاس قراس، وليس المدن فيها.

ويبلغ عدد سكان الولاية الآن عشرة ملايين ومائتي ألف نسمة.

ومساحتها: ٥٦١،٠٢٦ كيلو متراً مربعاً، فهي في حجم عشر دول من الدول المتوسطة في المساحة.

وأكثر مساحتها صالح للزراعة أو لغيرها من أوجه الاستغلال، فهي غنية بالذهب والماس والزمرد، كما تنتج مقادير من النفط.

كما أنها تنتج منتوجات زراعية ضخمة منها السكر والقطن والكاكاو، ويروي معظم أراضيها نهر سان فرانسيسكو الكبير.

وعاصمتها (سلفادور) سيأتي الكلام عليها.

ولكون ولاية (بهية) كانت فيها أول عاصمة في البرازيل في القديم قبل إنتقال العاصمة من (سلفادور) إلى ريودي جانيرو في عام ١٧٦٣م، فإنها قد شهدت أحداثاً تاريخية مهمة بعد توطيد الاستعمار البرتغالي، ومن ذلك أن الهولنديين حاولوا احتلالها لتكون رأس جسر لهم إلى أرض البرازيل الغنية، أو لتصبح على الأقل منطقة نفوذ سياسي لهم، ومحطة

لسفنهم، لأن (سلفادور) عاصمة بهية تشغل موقعاً ممتازاً من خليج (تودس لوس سانتوس) ومعنى اسمه (كل القديسين).

ويحدثنا التاريخ أن حاكم البرازيل المعين من قبل ملك البرتغال اسمه (دون تومه دي موزه) وصل إلى البرازيل في عام ١٥٤٩م على رأس ألف رجل من البرتغاليين، منهم أربعمائة رجل من المحكوم عليهم بنزع الحقوق الشخصية.

فحط رحاله في الميناء الذي أصبح الآن عاصمة الولاية (سلفادور)، وبدأ من هناك حكم البرازيل التي كانت بعض أقسامها تراجع ملك البرتغال، أي قبل أن تتوحد تحت إدارة واحدة.

أما الغزو الهولندي فجاء بعد ذلك بكثير إذ حدث في عام ١٦٢٤م، وقد استطاعت هولندا بعد قصف المنطقة بالمدافع دخول ولاية بهية، واستولت على مدينة (سلفادور) والأراضي حولها، وحاولت توطيد أقدامها فيها، إلا أنه حدث خلاف بين قادة جيشها وصل إلى حد القتل، وصعب عليها تموين نفسها لأن الجهات القريبة من الساحل لا تزال موالية للبرتغال.

ثم استعادتها البرتغال صلحاً بعد وقائع حربية عديدة، وقد استمر احتلال الهولنديين ذلك قرابة عام واحد.

واشتهرت ولاية (بهية) بأنها وما حولها قد شهدت ثورات الإفريقيين البرازيليين؛ مع أنه قد شاركتها في ذلك ولايات مجاورة لها مثل (الأقواس)، و(برنامبوكو)، ولكن في بهية كانت عاصمة البرازيل،

فكان الإفريقيون يجلبون عبيداً إليها من إفريقية حيث ينهبهم الأوروبيون من برتغاليين وهولنديين وإنكليز وغيرهم، فيأخذونهم عنوة إلى السفن، ويتجهون بهم إلى أمريكا الجنوبية، فيبيعونهم فيها بيع الأنعام، فكانت مدينة (سلفادور) عاصمة بهية مركزاً لتجميعهم ثم توزيعهم.

وقد استقر كثير من الإفريقيين في هذه الولاية، وفيهم نسبة من المسلمين لا بأس بها في العدد، ولذلك لا تزال فيهم بقية باقية من عادات إسلامية، أو ملامح ثقافية إفريقية ممتزجة بأعراف إسلامية.

إلا أنه لا يوجد فيهم من يقول الآن: إنه مسلم، لانقطاعهم عن الدعاة إلى الله، وعدم وجود علماء الدين فيهم، ولتسليط الدعاية المسيحية بينهم، حتى صاروا كلهم مسيحيين بالاسم.

والدليل على كون الروح الإسلامية هي التي كانت مسيطرة عليهم عندما أقام أوائلهم في البرازيل أنهم قاموا بثورات عديدة أسسوا في إحداها مملكة لهم تحاكي ما هو معروف من الممالك الإسلامية في غرب إفريقية، أو تشابهه من بعض الوجوه.

وتلك المملكة الإفريقية يسميها البرازيليون الآن بالمملكة الزنجية، لأن الذين قاموا بها هم الإفريقيون، وهم ليسوا زنوجاً في عرفنا، ولا في لغتنا، ولا في اصطلاح المؤرخين من بني قومنا، فالزنوج أقوام تقع بلادهم في ساحل إفريقية الشرقية فيما يعرف الآن بشواطئ كينيا وتنزانيا، وكانت تسمى (بر الزنج)، وبقيت بقية من اسمها في الجزيرة التي تسمى الآن (زنجبار) بمعنى برالزنج.

وقد بلغ عدد الإفريقيين المستعبدين في (بهية) هذه وما حولها أرقاما كبيرة.

فقد ذكر مؤرخ اسمه (ملت برني) أنه في عام ١٨٥٥م كان عدد سكان البرازيل ٠٠٠، ٧،٦٧٧ نسمة، منهم ثلاثة ملايين من الزنوج، ومليونان ونصف من الخلاسين، وهم المختلطون الذين ألوانهم ما بين السواد والبياض.

فإذا أضيف إليهم عدد السكان الأصلاء من الذين يسمون الهنود الأمريكيين آنذاك، وهو أربعمائة ألف نسمة، صارت نسبة ذوي الأصول الإفريقية حوالي ٤٠٪.

إلا أنه ينبغي أن يلاحظ أن مجيء الأفارقة إلى البرازيل قد توقف بعد أن انتهت تجارة الرقيق، على حين صارت تتدفق على البرازيل موجات من المهاجرين البيض، أغلبهم من الأوروبيين الجنوبيين الذين يسمون اللاتينيين؛ نسبة إلى لغاتهم التي ترجع في أصلها إلى اللغة اللاتينية.

ويقول المؤرخون: إن الأفارقة أنشأوا لهم كياناً برئاسة ملك له خلافه وراثية في منطقة بلمارس، وقد أعلن الملك، واسمه (زومبي)، أن دولته حرة مستقلة، ووضع دستوراً لبلاده في مادته الأولى احترام الحرية الشخصية لكل من يشاء المعيشة في دولته.

فكان المستعمرون البرتغاليون يحاربونه بدون هوادة، وكانت أولى المعارك الكبيرة بين الطرفين في عام ١٦٤٣م.

ثم توسعت دولة (زومبي)، واحتلت أكثر من عشرين موقعاً من

النواحي القريبة منها، وموقعها في ولاية (الاقواس) الملاصقة لولاية بهية هذه، ولم تكن الحدود بين الولايتين قد ميزت في ذلك الوقت.

وظلت الحرب بين دولة السود الأفارقة، ودولة البرتغال بإمكاناتها الكبيرة من الرجال والعتاد بعد ذلك لمدة خمس سنوات بدون أن يكون لدى الأفارقة شيء من ذلك إلا تضحية رجالهم المتسلحين بأسلحة خفيفة.

وقد سجل المؤرخون البرتغاليون أن الجيش البرتغالي كان يقضي على أسرى السود، بدون شفقة؛ سواء أكانوا رجالا أم نساء، وسواء أكانوا شيوخاً أم أطفالاً.

وفي ٢١ يونيو عام ١٦٧٨م جرى صلح بين ملك السود وبين البرتغاليين، لم ترض عنه أكثرية السود، فتابعت الحرب إلى عام ١٦٧٩م.

وقد أبدى السود الأفارقة فنوناً من التضحيات الجليلة جعلتهم يصمدون أمام البرتغاليين الذين حشدوا كل قواتهم في البرازيل مع معدات الحرب الحديثة المتوفرة في ذلك الوقت لديهم دون الأفارقة، فحاصرتهم مدة ثلاث سنوات حتى عام ١٦٩٥م حيث تمكنوا من القضاء عليهم، وهلك (زومبي) فيمن هلك، وكانت هذه نهاية مملكة السود في البرازيل.

يوم الأحد ١٥ /١/ ١٤٠٦هـ.

من برازيليا إلى (سلفادور):

غادرنا مطار برازيليا عاصمة البرازيل، ومعنى اسمها: البرازيلية، وهي العاصمة الحديثة للبلاد؛ إذ صارت كذلك في عام ١٩٦٠م، وكانت العاصمة قبلها مدينة (ريودي جانيرو) الكبيرة.

ومع ذلك كبرت هذه العاصمة (برازيليا) بسرعة رغم صغر سنها، أن صح التعبير، فبلغ عدد سكانها الآن ما ناف على المليون، وبلغ سكان المدن أو المحلات المتصلة بها ما قارب المليون أيضاً.

وكانت مغادرتنا على طائرة لشركة (فاسب)، إحدى الشركات العديدة في البرازيل، ولكنها محلية داخلية، فلا تسافر طائراتها خارج البلاد، غير أن البرازيل نفسها واسعة شاسعة، والسفر فيما بين أركانها البعيدة يعادل السفر إلى بلدان عديدة صغيرة أو متوسطة، أو يزيد على ذلك.

ويكفي أن تعرف أن المسافة بين شمال البلاد وجنوبها تزيد على ثلاث آلاف كيلو متر، وأن مساحة البلاد البرازيلية كلها تبلغ أربعة أضعاف مساحة المملكة العربية السعودية أو تكاد، على سعة بلادنا وتباعد نواحيها.

والطائرة من طراز بوينغ ٧٣٧، وهو أصغر الأشقاء، أو إن شئت قلت: الشقيقات، في أسرة بوينغ العظيمة التي لا توجد طائرات تنافسها في كثرة ما تجوبه من جواء العالم في قاراته المختلفة، وبخاصة في

المسافات البعيدة ما بين القارات.

وكانت الطائرة مليئة بالركاب، وكلهم من الجنس البرازيلي الذي ارتضيت لنفسي أن أطلق عليه هذا المصطلح، وإن لم يكن هناك جنس إنساني برازيلي متفق على إطلاق هذا الاسم عليه.

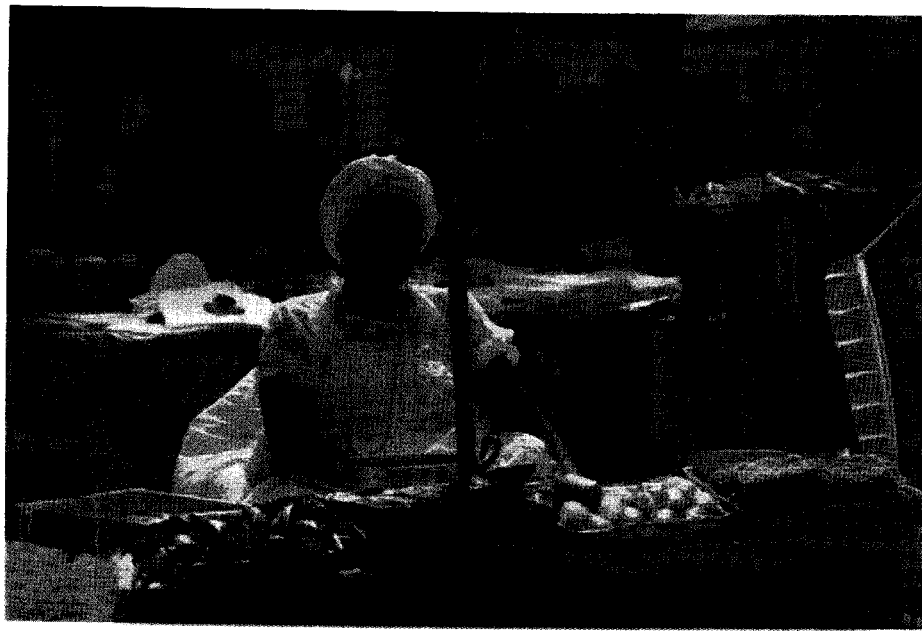

بائعة من المختلطات في سلفادور

ولكنه هو الجنس الغالب الأكثر في البرازيل، وهو جنس أبيض، ولكنه ليس بأصهب، فبياضه في الأغلب الأعم هو كبياض العرب الشماليين، أو بياض السمر من الأوروبيين الجنوبيين، وكان في هذا الجنس الأوروبي بعض المهاجرين الشقر الذين جاؤوا من بلاد أوروبية شمالية كألمانيا أو هولندا، ولكن بعضهم تزاوج مع الجنس الذي

ذكرته، فاكتسب بعض خصائصه، وبعضهم أثر عليه الجو البرازيلي الحار، أو الشبيه بالحار، فأذهب عنه بعض بياضه حتى أدخله في ذلك الجنس البرازيلي الذي ذكرته أو كاد.

وفي البرازيل طوائف أخرى، وإن شئت قلت: أجناس أخرى من السود والسمر ومن المختلطين الذين يسمونهم هنا: (المولاتو) بمعنى المختلطين.

ولكن هؤلاء وأولئك لا يؤلفون الأغلبية من شعب البرازيل.

كانت الطائرة مليئة بالركاب، وقد حضرنا متأخرين للمطار، ولذلك لم أحصل على مقعد بجانب النافذة كما كنت أحرص على ذلك في كل رحلاتي للمدن التي لم أزرها من قبل.

ولذلك لم أستطع أن أبصر ما تحت الطائرة بوضوح من مكاني في وسط الطائرة، وبخاصة أنها ليست فيها درجة أولى، وإنما كل مقاعدها درجة سياحية في هذه الرحلة.

وكانت الظاهرة الغالبة في هذه الرحلة هي اضطراب الطائرة الشديد بسبب سحاب ثقيل مطبق كنا نرى لمعان برقه من داخل الطائرة.

وجاؤوا بالضيافة، وهي عشاء وافر الكم، ولكنه كثير الذم عندنا؛ إذ هو خنزير صريح مع السلطة، وخنزير غير واضح مع البطاطس، وهو الصحن الرئيسي في العشاء، ولم تستطع المضيفة أن تفيدنا بإفادة صريحة بأن قسماً من العشاء حلال فتركناه كله.

وقد عانينا أيضاً من عدم الوضوح في الإعلان، لأنه كان مقتصراً

على اللغة البرتغالية التي لا نعرفها.

وربما كانت المضيفات لا يفهمن الإنكليزية بوضوح، وهذا على غرابته أقل غرابة مما حدث أمس عندما ذهبت إلى مكتب شركة (فاسب) من أجل الحجز، فوجدت في المكتب عدداً من الموظفين والموظفات لم أجد فيهم من يعرف الإنكليزية، وقد استعنت بكلمات معدودة كنت أعرفها من البرتغالية، ثم أحضرت معي الأخ الصديق (محمد أحمد أبو فارس) ممثل رابطة العالم الإسلامي في البرازيل، فترجم لي ما أردته.

وهذا أمر غريب، ولكن إذا عرف المرء أن هذه الشركة لا تسير إلا رحلات داخلية، وأن أهل البرازيل كسائر أهل أمريكا الجنوبية، قل أن يعرفوا لغة غير لغتهم الوطنية، وهي البرتغالية في البرازيل، والإسبانية في باقي أقطار القارة، فإنه ربما لا يستغرب هذا الأمر.

وحتى في مطار برازيليا الذي سافرنا منه لم نسمعهم أعلنوا عن رحلتنا إلا بالبرتغالية التي لا نفهمها، وكان ذلك مدعاة لارتباكنا، لأنهم لم يكتبوا رقم البوابة على بطاقة الصعود إلى الطائرة مما اضطرنا إلى أن نلتمس من الركاب من يحسن الإنكليزية فيرشدنا إلى المطلوب.

في مطار (سلفادور):

هبطت الطائرة في مطار (سلفادور) في العاشرة وخمس دقائق ليلاً، وكانت غادرت برازيليا في الثامنة والثلث، فكانت مدة الطيران ساعتين

إلا ربعاً.

ولم يكن في الرحلة ما يمتع، لأنها في الليل البهيم الذي زاده السحاب الكثيف في أكثر الطريق ظلاماً فوق ظلام.

وجدنا في قاعة الدخول في مطار (سلفادور) مكتباً للحجز في الفنادق والسيارات، فذهبت إليه، بينما كنا في انتظار وصول الحقائب من الطائرة، ووجدت فيه فتاة سوداء سواداً نادياً غير حالك، ورجلاً أقل منها سواداً، ولكنه يعتبر من المختلطين الذين يدعون هنا بالمولاتو.

وكانت الفتاة أسرع من الرجل إلى مخاطبة الغرباء، ولم أكن عرفت شيئاً عن الفنادق هنا؛ بل ولا حتى عن المدينة، عدا مطارها، فقد كنت نزلت فيه من قبل، ولكنني لم أغادر الطائرة؛ لأننا كنا في رحلة عابرة.

طلبت من الفتاة أن تبحث لنا عن غرفتين في فندق في وسط المدينة، ولكنه قريب من شاطئ البحر، فوسط المدينة يتيح لي أن آخذ صورة جيدة عن عامة الشعب، وعن حركة البيع والشراء فيها، وعن اختلاف أهلها عند ازدحامهم، وعند احتكاك بعضهم ببعض وبالغرباء أمثالنا أيضاً. وكونها على شاطئ البحر يعطيني فكرة عن تمتع القوم بإجازاتهم، ومعرفة كيف يقضون فراغهم.

ولبت الفتاة الطلب بسرعة، واختارت فندقاً ذكرت اسمه (قراندي هوتيل داباها)، و (قراندي هوتيل) معروف، ومعناه بالبرتغالية: الفندق الكبير، و (دا) أداة إضافة تقع بين المضاف والمضاف إليه، على مثال

كلمة (اوف) بالإنكليزية، أو (ابْتاع) بالعامية المصرية، و(باها) كما نطقت بها تكتب (بارا) بالراء.

ولها نظائر في اللغة البرتغالية حيث يقلبون الراء هاء مثل كلمة (هوبا) أي (روبا) بمعنى ثوب أو قماش، وكلمة (اهز) وهي (الرّز) العربية بالراء.

ومعنى (باها)، أو (بارا): ريفي، أو الريف البحري، وكنت سمعت بمعناها في اسم (ريودي جانيرو)، فسألت الفتاة عن الريف الذي فيه الفندق ـ والكلام معها بإنكليزية ضعيفة ـ فقالت: إنه لا ريف الآن هناك، وإنما كان ذلك في الماضي البعيد.

وأجرة هذا الفندق ما يعادل (٣٤) دولاراً أمريكياً في الليلة للغرفة الواحدة، وهذا شيء رخيص، ولكن أجرة السيارة التي توصلنا إليها غالية، إذ طلبت ما يساوي (١٨) دولاراً أمريكياً، وقد عرفت بعد أن وصلنا الفندق أنها غير غالية، لأننا وجدناه بعيداً جداً عن المطار.

مدينة (سلفادور):

تسلمنا حقائبنا من المطار وخرجنا بسهولة، لأن الرحلة داخلية لم نمر خلالها بأية إجرءآت رسمية.

وعندما وقفنا قرب موقف سيارات الأجرة، وجدنا الفتاة واقفة قالت: إنها تريد الاطمئنان على ركوبنا في السيارة بسهولة، ومن أجل أن تعرف السائق الذي حملنا من باب الاحتياط، وهذا مثال على حسن المعاملة عند البرازيليين في أكثر بلاد البرازيل على تباعدها، واختلاف

ألوان أهلها.

وكانت الفتاة قد أكدت لي ألا خوف في الركوب مع سيارة أجرة في هذا الليل، لأن السائقين معروفون، والبلاد آمنة.

وانطلق السائق بسيارته، ولم يكن يعرف شيئاً من الإنكليزية، فثرثرت معه ضمن كلمات معدودة من البرتغالية لا تغني ولا تسمن من جوع، ولكنها أحسن من السكوت، وهي إلى ذلك لا تخشى العاقبة من الغلط فيها، أو كما قيل في المثل العامي: (اغلط ولا تخاف)، لأنه لا يوجد معنا من يعرف الغلط.

وسرنا طويلاً إلى الفندق، بل استبطأنا الوصول إليه.

ثم وصلناه فوجدناه على الشاطئ بالفعل، لا يفصل بينه وبين البحر إلا شارع ضيق، ويستطيع من يكون في الغرف التي في غربيه أن يشعر أنه على الشاطئ وهو في غرفته.

ووجدنا في الاستقبال فتى سمح الوجه من المختلطين الذين يميلون إلى البياض، ولم يطلب منا أكثر من كتابة الاسم والتوقيع دون أن يطلب إبراز جواز السفر، أو تقديم شيء من الأجرة، وذلك جرياً على عادة الفنادق في البرازيل كلها من سهولة الدخول والخروج وحسن الظن بالنزيل، على خلاف الولايات المتحدة الأمريكية التي لا يرضى أهل الفنادق فيها إلا بأن تدفع الأجرة مقدمة، حتى ولو كنت مثلي تحمل جواز سفر دبلوماسياً، وأريتهم الجواز مثلاً، مع أنهم في الغالب لا يطلبون رؤيته، وإنما يكتفون برؤية الدولار الذي تدفعه مقابل السكن عندهم.

وبخلاف الفنادق في (لاجوس) عاصمة نيجريا التي لا بد من أن يطلبوا منك أن تدفع الأجرة مقدمة، ومعها تأمين يصل إلى مثل الأجرة في المقدار، ذكروا لي أنه يكون بمثابة الرصيد لما قد تأكله في المطعم أو المشرب في الفندق، وقال لي أحد الموظفين في الاستقبال في فندق (سنترال) في لاجوس: إن هذا التأمين هو من أجل إصلاح الخراب الذي قد يحدثه الساكن في الفندق.

ورأيت تصديقاً لما قاله في إعلان موضوع في ذلك الفندق النيجيري يقول ما معناه: أي خراب أو دمار يحدثه النزيل في أثاث الغرفة أو محتوياتها سيحاسب عليه!!!

جولة نصف الليل:

عندما أكملنا وضع أمتعتنا في الغرف نزلت أنا ورفيقي الشيخ عبد العزيز المسند نتمشى على أقدامنا فيما حول الفندق بعد أن أكد لنا الموظف أن لا خوف من التجول في هذه المنطقة في مثل هذه الساعة من الليل.

ولم نكن نقصد محلاً معيناً، وإنما القصد هو رؤية هذا الجزء من الوسط التجاري في مدينة (سلفادور).

فهو وسط المدينة، ولكنه ليس وسط القسم القديم منها.

كانت الأنوار ساطعة في الشوارع، وكانت الحركة لا تزال نشطة في هذه الساعة المتأخرة، وكان المارة موجودين بهيئة طبيعية وكذلك الحافلات وسيارات الأجرة.

وسرنا على أقدامنا حتى تعبنا من السير، وأشبعنا فضولنا الذي لم نستطع كبح جماحه إلى النهار.

يوم الإثنين ١٦ / ١ / ١٤٠٦هـ.

أطفال وامرأة مختلطة في سلفادور

بلاد المختلطين:

مدينة (سلفادور) هذه هي عاصمة ولاية (بهية)، وبعض العرب يفضل أن يكتبها (باهية)، ولكني سمعت أهلها ينطقون بها (بهية)، وعلى أية حال فإنه رغم المظهر العربي لهذه الكلمة، فإن الذين سألتهم عن معنى اسمها ذكروا أنها كلمة هندية أمريكية، وبعضهم قال: إنها

كلمة قديمة، وربما أراد بذلك أنها كانت تسمى بها هذه الولاية منذ عهود قديمة.

ولعل ذلك القدم كانت من زمن الاستعمار البرتغالي الأول، وعلى ذلك من الجائز أن تكون عربية دخلت في البرتغالية مع ما دخل فيها من العربية.

وولاية (بهية) هذه التي عاصمتها (سلفادور) مشهورة عند البرازيليين بأنها ولاية (المولاتو)، وهم المختلطون الذين ولدوا ما بين الأجناس الثلاثة من سكانها الذين تتباين ألوانهم في الأصل، وهم السود الذين جلبهم البرتغاليون عبيداً ليعملوا في المزارع الواسعة في هذه الأرض التي كانت بكراً، والهنود الأمريكيون، وهم سكان البلاد الأصلاء الذين كانوا موجودين فيها قبل أن يصلها المكتشفون الأوروبيون، والجنس البرتغالي على وجه الخصوص، والأوروبي على وجه العموم.

وهذا اللون المختلط محبب عند البرازيليين حتى إنني عندما كنت مسافراً في طائرة إلى مدينة (بيلم) عاصمة ولاية (بارا)، ونزلت طائرتنا في مطار (سلفادور) هذه، ولم ننزل منها لأننا كنا ركاباً عابرين، قالت جارة لي في مقاعد الطائرة: إن (سلفادور) فيها أجمل الألوان في البرازيل.

وكنت مرة مسافراً بالطائرة مع صديقي الوجيه اللبناني المهاجر للبرازيل الأخ علي سعيد رحال رئيس الجمعية الإسلامية في مدينة (فوز دو قواسو) من مدينة (أسينسيون) عاصمة باراغواي، فرأيت مجلة الخطوط البرازيلية (فارج) فيها عنوان بارز، ومقالة فيها صور لنساء يشبهن الأعرابيات في ألوانهن، وإن يكن يخالفنهن في تقاسيم الوجوه، فترجم

لي الأخ علي الرحال ملخصاً للمقالة، وذكر أن عنوانها هو: (المولاتا زهرة تتفتح في البرازيل).

وذكر أن المقال يوضح أنه نشأ في البرازيل خاصة جيل من الفتيات نتيجة لتزاوج الألوان الثلاثة التي ذكرتها، وأن موطن (المولاتا) الأساسي هو في (بهية)، وقد رأيت بعد ذلك مهرجان الكارنفال في (ريودي جانيرو) حياً في الشوارع والميادين، كما رأيت صور مهرجان (سلفادور) عاصمة بهية في التلفاز، فإذا بأولئك المختلطات من الفتيات اللاتي يسمون الواحدة منهن (المولاتا) هن أكثر من في المهرجان رقصاً، بل مجوناً وعرضاً للاجساد، وذلك بسبب محبة الجمهور لرؤيتهن، والتفرج بذلك سواء من حيث الألوان، أو تقاسيم الأبدان.

وولاية المسلمين الضائعين:

و (بهية) هذه اشتهرت أيضاً عند بني قومنا من المسلمين في البرازيل وعند غيرهم بأنها هي ولاية المسلمين الضائعين، وهم الأفارقة المسلمون الذين كان البرتغاليون المستعمرون وغيرهم من الأوروبيين قد جلبوهم من غرب إفريقية، وخاصة من بلاد (مالي) التي كانت تمتد حتى سواحل ما يعرف الآن بدولة السنغال، فكانوا يجلبون الرقيق من غرب إفريقية بالقهر والانتهاب، أوبالشراء من المنتهبين بأسعار زهيدة، يأتون به إلى هذه الدينا الجديدة من أجل المعمرين المغامرين.

ولم يكونوا يقصدون المسلمين دون غيرهم من الإفريقيين بالاسترقاق، ولكن كانت المنطقة التي يجلبون منها الرقيق موطناً

للمسلمين كما هو معروف، وكان في الرقيق مسلمون وغير مسلمين، ولكن المسلمين كانوا أعداداً كبيرة.

وكان فيهم نساء وأطفال ورجال مغلوبون على أمرهم، فأجبرهم المستعمرون البرتغاليون على ترك دينهم الإسلامي الحنيف، واعتناق المسيحية دين المستعمرين، وقد ساعد على ذلك انعدام الحرية لهم انعداماً كاملاً، وتسليط المنصرين، وانقطاع صلة هؤلاء الرقيق من المسلمين بأي بلد من بلدان المسلمين، فنسوا دينهم، وضاعت الأجيال من أنسالهم.

وقد حصلت ثورات محدودة، وبعضها ذو طابع محلي من الإخوة المسلمين، يريدون منها أن تكفل لهم الحرية الدينية، ولكن المستعمرين أخمدوا تلك الثورات بالحديد والنار، ولا تزال بعض العادات والتقاليد والتعبيرات الشعبية الموروثة لدى ذوي الأصول الإفريقية موجودة حتى الآن تدل على أن القوم كانوا مسلمين، وأنهم أصبحوا بعد ذلك من الضائعين.

وليس هذا مكان شرح هذا الموضوع وتطوراته، ولكنه إيضاح لما في ذهن الكاتب عن هذه المدينة (سلفادور) وولايتها (بهية) قبل الوصول إليها.

على أن الأفارقة من دون أن يكونوا مسلمين معروفين قاموا بثورات يعقدون منها حكم أنفسهم بأنفسهم، وسبق ذكر ذلك في مقدمة الكلام على ولاية (بهية).

وعاصمة البرازيل:

مدينة (سلفادور) أول عاصمة للبرازيل، وقد بدأ إنشاؤها في عام ١٥٤٩م، وهذا وقت مبكر بالنسبة إلى التاريخ المعروف لهذه البلاد.

ويحكى أن أول من بدأ البناء فيها حاكم اسمه (دون تومه دي موزه) حيث بنى مقراً له على ربوة فيها تعرف الآن باسم (سدادي ألتا) أي المدينة العالية.

آثار الأقدام على الشاطئ الرملي في مدينة سلفادور

ومن ذلك الوقت اتخذت (سلفادور) عاصمة للبرازيل حتى انتقلت العاصمة إلى ريودي جانيرو في عام ١٧٦٣م.

وتقع (سلفادور) على خليج يسمى خليج كل القديسين (تودوس لوس سانتوس).

وهي حافلة بالآثار التاريخية التي تهم البرازيليين، وإن كانت لا ترقى في الأهمية التاريخية الزمنية إلى الآثار التي تحفل بها البلدان العربية.

ويبلغ عدد سكان (سلفادور) في الوقت الحاضر مليوناً وثمانمائة وستين ألف نسمة.

الجولة في المدينة:

رغم كوننا قمنا هذا اليوم من النوم مسترخين بعد أيام في المؤتمر الإسلامي في برازيليا كانت حافلة ببرنامج يبدأ من قبل الفجر؛ حيث يدعى المؤتمرون إلى أداء صلاة الفجر جماعة في وقتها، ثم يكون بعدها درس ديني لا بد من أن نحضره، ثم يكون الانصراف بعده إلى طعام الإفطار، وبعد ذلك مباشرة الذهاب إلى أعمال المؤتمر الإسلامي.

ويتخلل هذا البرنامج أعمال من المقابلات والاجتماعات، وتصريف الأمور الإدارية.

إلا أن ما في أذهاننا عن مدينة (سلفادور) جعلنا نسرع في الخروج من الفندق بعد الإفطار، ونتجول في شوارع المدينة، وكنت ألتمس أن أربط ما أراه فيها بما سمعته عنها في القديم.

تجلى موقع الفندق من شاطئ البحر الملاصق له تقريباً، ورأيت

الناس قد بدأوا بالحضور إلى شاطئ البحر وافتراش رمله للتشمس مع أنهم في بلاد شامسة، ولكن لا تمكن مقارنة هذا الشاطئ بشاطئ (ريودي جانيرو)؛ بل بشواطئ (ريو)، فتلك أوسع وأجمل وأفخم.

مع الشيخ عبد العزيز المسند قرب الفندق على شاطئ سلفادور

ومع ذلك فإن الناس هنا يأتون إلى الشاطئ ويتجمعون فيه، وهم على الهيئة التي عليها غيرهم من التخفف من اللباس، من أجل أن يعرضوا أجسامهم لأشعة الشمس المفيدة فيما يزعمون، وربما كانت لبعضهم مآرب أخرى، والله أعلم بالظنون.

في وسط المدينة :

واصلنا السير في وسط المدينة مبتعدين عن منطقة الشاطئ التي فيها فندقنا الذي يسمى على اسم محلة كانت ريفية (فندق الريف الكبير)، وإن صار الريف فيها الآن في خبر كان، وازدحم فيها البنيان، حتى صارت من وسط المدينة.

ورأيت الناس هنا أكثرهم من المختلطين والمتغيرين، فالمختلطون هم الذين ولدوا لأجناس مختلفة، أو بين ألوان مختلفة، والمتغيرون الذين لم يتزاوجوا مع غير ألوانهم، ولكن ألوانهم تغيرت بسبب بقاء أبائهم وبقائهم من بعدهم تحت أشعة هذه الشمس الحارة التي لا تبعد كثيراً عن خط الاستواء، وإن تكن خارجة عن الدائرة الاستوائية جهة الجنوب، والشيء الذي استرعى انتباهي أن السود الباقين على سوادهم فيها ليسوا الأكثرين في هذه المدينة التي اكتسبت ولايتها (بهية) أو (باهية) شهرة بوجودهم فيها، فهم في المدينة أقلية، كما أن البيض الذي لم يتغيروا فيها ليسوا الأكثرين أيضاً، وإنما سائر السكان الذين رأيناهم اليوم هم من المختلطين أو المتغيرين.

على أن بعض السود فيها لم تتغير ألوانهم عما كانوا عليه في إفريقية، فسوادهم حالك، وبعضهم قد تغير لونه الحالك إلى رمادي أو حتى ما يقرب من النحاسي، إما بالتزاوج البعيد أو بتأثير الجو.

إلا أن النظرة العامة إلى وجوه الناس هي أن مناظرهم أقل وجاهة من أهل الجنوب، والرأي الذي يخرج به من يتجول في وسط مدينتهم مثلي اليوم، ومن واقع حديثنا مع بعضهم، أنهم كسائر البرازيليين قوم

وديون، أي ليسوا من ذوي النظرات العدائية أو الشريرة، أو حتى المبغضة للغريب.

المؤلف في شارع البحر أو (الكورنيش) في سلفادور

فالطابع البرازيلي الخلُقي - بضم اللام - من هذه الناحية موجود هنا، كما أن الطابع الظاهر في الشاطئ من عدم الاحتشام موجود هنا أيضاً كسائر البرازيل، وإن كان يتفاوت قليلاً من بلد إلى بلد، (فريودي جانيرو) لاتدانيها مدينة أخرى في عدم الاحتشام في الشواطئ، وعدم المبالاة بما ظهر من العورات، أو ما قرب من العورات في تلك المواطن.

ومما أكد لي أن هذه لمدينة ليست بمدينة بيضاء، وان كثر فيها البيض، ومن هم من أصول بيض، وجود أشجار من أشجار النارجيل

فيها، وهي أشجار لا تكون مزدهرة إلا في البلدان الاستوائية أو القريبة من الاستوائية.

وقد رأيتهم هنا يبيعون الماء من ثمار النارجيل الخضر يشربه المارة كما يفعل أهل البلدان الاستوائية.

مشية الاسترخاء:

هذا اليوم هو الأول من الأيام الحرة التي ليس فيها لنا برامج بعد أيام المؤتمر الإسلامي الحافلة بالعمل ليلاً ونهاراً، لذلك صارت مشيتنا فيه مشية استرخاء، إن صح أن في المشي استرخاء، وهو صحيح.

وما أجمل أن يسترخي المرء في مشيته إذا كان مسترخي البال أيضاً مما يشغله وهو يدخل بلداً غريباً، يستجلي مناظره، ويتفرس في وجوه أهله، وبخاصة إذا كانوا لا يفهمون لغته بحيث يقع فيهم بما أراد دون أن يفهموا ذلك منه، وإنما يقتصر فهمه على صاحبه، وصاحبي في هذه السفرة هو الصديق الشيخ عبد العزيز المسند.

وصلنا للشاطئ بل دخلنا فيه، وجزء منه رملي جيد، ولكنه قصير، وباقيه صخري تنبعث منه رائحة عفنة، فتركناه إلى اليابسة إلى حيث الشوارع التي يقود بعضها إلى بعض دون أن يقودنا فيها هدف محدد في شارع معين.

فدخلنا سوقاً صغيرة، كل الباعة فيها من النساء، فلاحظنا أنهن أقل في الجمال، ووجاهة المظهر من (الريويات) - نسبة إلى ريو، رغم ثقل هذه النسبة، وخفة أرواح نساء ريو - وهن سريعات التأثر من الحديث

مثلهن في ذلك مثل من يسكنون تحت خط الاستواء، أو قريباً منه، مع أن (سلفادور) ليست تحت خط الاستواء مباشرة، وإنما على درجة (١٢) جنوب خط الاستواء.

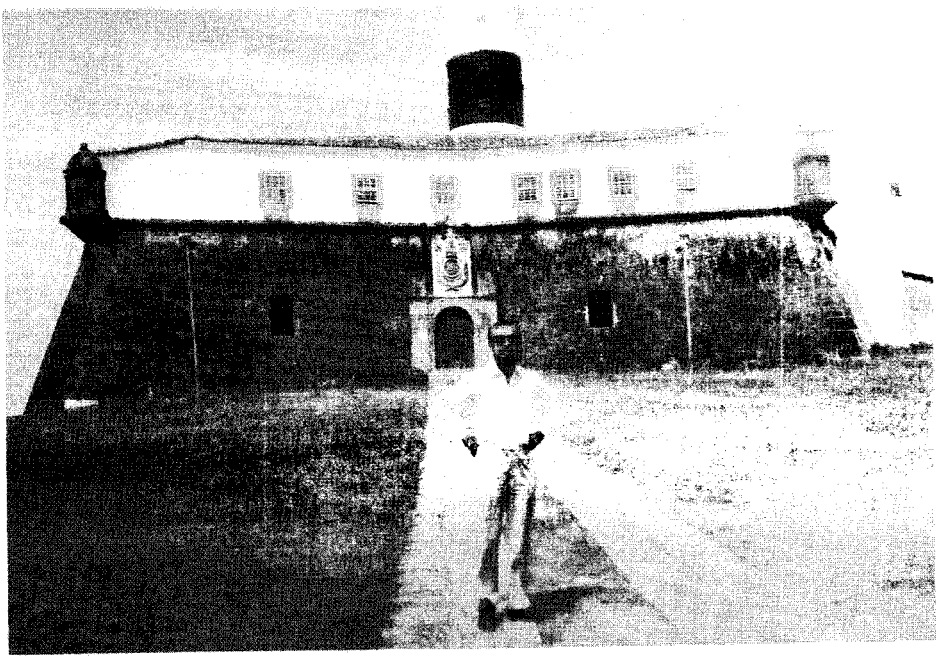

أمام المتحف البحري في سلفادور

وشربنا أشياء هنا، فوجدناها أرخص من (ريو) بكثير رغم مماثلتها لها، فالشاي في مشارب الشاطئ في ريو بستة الآف كروزيرو، وهو هنا بثلاثة آلاف، وإن كان المكانان غير متماثلين، ولاحظت كثرة الواقفين في شارع الشاطئ، والجالسين فوق جداره، مما يدل على وجود المتعطلين أو العاطلين؛ لكن النظرات الحاقدة في العادة التي يراها المرء تطل من عيون أمثال هؤلاء عندما ينظرون إلى السياح الأجانب الذين

يفترض أنهم من أهل المال، وربما أيضاً من أهل الأعمال التجارية الرابحة، هي غير موجودة.

أبنية في التلة العالية في سلفادور

وتجولنا في المنطقة التي يقع فيها الفندق، وهي تلة مرتفعة تطل على البحر، ذات بيوت غالية، وأبنية متعددة الطوابق، وهي بهذا تخالف معظم أنحاء مدينة (سلفادور) التي يقع أغلبها موقعاً سهلاً ليس فيه أماكن مرتفعة أو منخفضة، ما عدا بعض الضواحي، والأصعب في الأمر هنا أن الإنكليزية غير معروفة، فلا تكاد تجد من يتكلم بها في المطاعم والمشارب، ولا تجد قوائم الطعام مكتوبة بها؛ بل ذلك كله بالبرتغالية، ولولا كلمات كنت قد تعلمتها من البرتغالية لتعبنا أكثر،

ولكن البرتغالية سهلة النطق، وإن كانت قواعدها صعبة؛ بمعنى أن من يريد أن يجيدها، فإنه يتعب في ذلك كثيراً، أما من أراد أن يعرف لغة العامة التي يحتاجها في أموره اليومية، فإنها سهلة جداً، فهي في هذا الأمر أسهل من الإنكليزية على سهولة الإنكليزية بالنسبة إلى اللغات الأوروبية الأخرى.

وفيها كلمات كثيرة تشترك فيها مع اللغات الأوروبية، وخاصة ذات الأصل اللاتيني، فمثلاً: الساعة الواحدة: (أون أورا) أي (ون أور) بالإنكليزية، والأعداد: أون، دويز، تريز، كاترو، سينكو، سيس، ساتو، اويتو، نوفي، ديز.

وعندهم أمر لطيف جداً للتفريق بين المذكر والمؤنث، فالمذكر مرفوع، والمؤنث منصوب، أو يكون على هيئة ذلك، فمثلاً كلمة: (أشكرك) يقولها الرجل هكذا؛ (أوبرقادو) ـ بالواو ـ، وتقولها المرأة: (أوبرقادا) ـ بالألف ـ.

ومادمنا في بلاد المختلطين في ألوانهم وأنسابهم ـ (سلفادور) ـ فإننا نذكر أن كلمة مختلط للمذكر هي (مولاتو)، وللمؤنث (مولاتا).

تقول: هذه المرأة مولاتا أي مختلطة، وهذا الرجل مولاتو أي مختلط، حتى الألوان، فالأبيض برانكو، والبيضاء برانكا، وهكذا.

وحتى مخارج الحروف فيها سهلة عند النطق، ولكن في الكتابة صعبة، لأن فيها حروفاً تنطق على غير ما تكتب، وأذكر بهذه المناسبة أن أحدهم أراد أن يجاملني، فكتب في ورقة وهو يشير إليَّ بما معناه:

إنك كما في هذه الورقة، ولم يكن يعرف الإنكيزية، فرأيته كتب (فسي بوم)، ولك أن تتصور أثر كلمة فسي عند العرب، لا سيما إذا كانت متبوعة بكلمة (بوم) التي قد يفهم العربي منها أنها تعني صوت ما تدل عليه الكلمة التي قبلها، فلم أرتح لذلك، فلما فهم مني الأمر، نطق بها وأشار إليَّ، فتذكرت أن (فسي) تعني كلمة (أنت)، و(بوم) نطق بها (بون)، وهي كلمة جيد أو طيب السائرة عندهم، ولكنها تكتب بالميم (بوم)، وتنطق بالنون (بون)، فيقول: (أنت طيب).

ولنترك اللغة رغم طرافة الحديث عن السهل منها إلى المشاهدات، فنقول: إن سيارات الأجرة كثيرة هنا ورخيصة.

ومظاهر قلة الحياء، أو عدم الاحتشام هنا هي أقل من (ريو)، مع أن المشهور في البرازيل كلها أن المدينة التي تلي (ريودي جانيرو) في الخلاعة التي تتجلى في أيام الكرنفال فيها هي (سلفادور) هذه.

وكنا نتجول ونحن واثقون من أنه لن يشعر بنا أحد، فالألوان التي تشبهنا من السكان هي كثيرة، والعرب الذي يردون إلى هذه المدينة من خارج البرازيل هم قلة قليلة جداً، ولذلك لا يعرفهم الناس.

يوم الثلاثاء ١٧ / ١ / ١٤٠٦هـ.

جولة في (سلفادور):

مضى أكثر أمس في التسكع في الشوارع، والسير على غير برنامج، إلا أننا رسمنا البرنامج لأول هذا اليوم، وذلك في جولة من الجولات السياحية في مدينة (سلفادور).

بدأت الجولة في التاسعة صباحاً بصحبة دليلة اسمها (ماريا نونيت)، وهي مختلطة من الذين سبق الكلام عليهم ويسمونها (مولاتا) وسوف تأتي صورتها في آخر الجولة من أجل أن تطلع على ملامح المختلطات.

وكانت حضرت إلى الفندق على سيارة صغيرة نقلتنا إلى محطة الشركة التي تسيّر تلك الرحلات، فكان أن مررنا بمتحف مهم، قالت: إنه متحف الهيدروجرافيا.

وذكرت أنه يفتح في الحادية عشرة، وأنه تابع لسلاح البحرية، وأنه أنشئ في القرن الساس عشر، وينبغي أن نذكر هنا أن (سلفادور) تقع على ساحل المحيط الأطلسي، وأن فيها ميناء بحرياً مهماً، وأنها كانت عاصمة للبرازيل في وقت من الأوقات.

ثم انطلقت بنا حافلة ليس فيها معنا إلا أربعة؛ أثنان منهما عروسان من سان باولو يقضيان شهر العسل في (سلفادور).

وكان أول التعريف بالمحلة التي يقع فيها فندقنا، والتي هي تلة متميزة، وإن كانت غير مرتفعة، فقالت: إنها في منطقة (باها) أو بارا.

أجمل مكان في (سلفادور).

وصلت الحافلة إلى تلة جميلة تشرف على مكان جميل من شاطئ البحر، ومن ربى متطامنة غير بعيدة، وذكرت أن اسمها تل (مور برانقا)، وأنها أجمل مكان في (سلفادور)، والموضع جميل حقاً، ولكنه لا يداني جمال الأماكن الجميلة في مدينة ريودي جانيرو التي يمكن أن يقال إنها في موضعها وشطآنها ورباها من أجمل مدن العالم، إن لم

تكن أجملها في هذه الأشياء.

وكانت تشرح بالإنكليزية لنا أنا ورفيقي الشيخ عبد العزيز المسند، وبالبرتغالية للباقين، ولاحظت كثرة أشجار النارجيل، وازدهارها في المدينة، وهي لا تكون كذلك في العادة إلا إذا كانت واقعة تحت خط الاستواء، أو غير بعيدة منه.

السود والهنود:

يختلط السود والهنود الأمريكيون مع غيرهم من ذوي الألوان بين السكان في أكثر المحلات، فليست هنا تفرقة عنصرية رسمية في البرازيل، ولا حتى عرفٌ يبيح ذلك.

وإن كانت بعض المحلات يكثر فيها اللون الأسود أو الهندي، فإن ذلك إنما جاء بسبب التمايز في الدخول ومستوى الحياة، ودرجة التعليم ما بين البيض والسود وغيرهم، وإلا فإنه لا توجد منطقة خاصة بالسود خالصة لهم دون غيرهم.

ولا بد من تكرار القول هنا بأن المراد بالهنود هم السكان الأصلاء الذين كانوا موجودين في البلاد قبل أن يصلها الأوروبيون.

نقول ذلك لمناسبة ما رأيناه في حي اسمه (شامي كاوكاو) يعتبر الآن في وسط المدينة غير الفاخر، وفيه أعداد ظاهرة من السود والهنود، أو إن شئنا الدقة قلنا الذين هم من أصل إفريقي، أو من أصل هندي، فبعضهم قد تغيروا قليلاً بسبب الاختلاط بالتزاوج أو نحو ذلك، ما عدا السود ففيهم طائفة لم تتغير.

مولاتا في سلفادور

ويلاحظ هنا أن الإحصاءات تقول الآن وحسبما قالته الدليلة عندما سألتها عن نسبة السود في هذه الولاية التي هي ولاية (بهية)، وعاصمتها (سلفادور) تبلغ ٦٠٪ ، ولكن ليست هذه النسبة بالضبط هي الموجودة

في العاصمة (سلفادور)، فهذه اختلط فيها الأمر من واقع تسامح البرازيليين، ومن واقع الاحتكاك بين الأجناس، وبسبب عدم وجود تقاليد عريقة صارمة تمنع من الاقتراب من النساء من سائر الألوان.

إلا أنه لا تزال قرى؛ بل مناطق من ولاية بهية هذه يعتبر سكانها سوداً بأغلبيتهم العددية، وبعضهم لم يتغيروا عما كانوا عليه من اللون عندما جلبوا من إفريقية ابتداء من القرن السادس عشر الميلادي.

واصلت الحافلة تجوالها في مدينة (سلفادور)، فوصلت إلى حي اسمه (نواس توروروا) عنده، وبحيرة اسمها (بهيانو)، ولم تقف فيه.

الملعب الكبير:

مررنا بملعب كبير لكرة القدم، وللبرازيليين ولع عظيم بهذه الرياضة جعلهم يشتهرون في العالم بطرق لهم خاصة في هذه اللعبة.

وللرياضة في أمريكا الجنوبية مكانة خاصة ربما كان سببها أن الشعب هناك ليس من ذوي الأمجاد القوية المتوارثة، لأنه خليط من الناس جاؤوا أو جيء بهم من خارج القارة للعيش فيها، وخلفوا كثيراً من العنعنات الماضية وراءهم؛ بل إن أكثرهم نسيها بالفعل، بل حتى نسوا أنفسهم، فلم يعودوا يعرفون إلى أية أمة كان ينتمي أجدادهم، ولا يعرفون غير هذا الوطن البرازيلي الذي صاروا جزءاً منه.

فالرياضة ترضى الطُّموح الحاضر، وتشغل الأفكار.

سكان بهية :

قلب مدينة سلفادور

ولمناسبة اتساع هذا الملعب الذي مررنا به يجدر أن نذكر أن عدد سكان ولاية بهية يبلغ عشرة ملايين ومائتي ألف، وأن سكان مدينة

(سلفادور) عاصمتها يناهز المليونين، وذلك كله من مجموع سكان البرازيل البالغ مائة وثلاثين مليوناً.

ثم مررنا بتل تحته عدة جسور، وعلى اليسار منه القسم التاريخي من مدينة (سلفادور)، هكذا نوهت الدليلة مع أنها ذكرت أن عمر (سلفادور) لا يرقى إلى أكثر من أربعمائة سنة.

وبقربها الميناء القديم الذي قالت الدليلة فيه إنه تاريخي أيضاً، وذكرت أن البرتغاليين أقاموا مساكنهم في أول الأمر فوق هذه التلة لكي يشرفوا على المواقع القريبة من المدينة كلها.

الكنيسة التي بناها المغاربة:

أشارت الدليلة باهتمام إلى كنيسة ذكرت أنها معظمة عندهم، وأن الذين بنوها هم المغاربة.

وأسمتهم المورسيكيين كما كان الأسبانيون يسمونهم، وأوضحت ذلك بأنهم المسلمون الذين كانوا في إسبانيا قبل تقسيمها ما بين الأسبان والبرتغاليين.

ولا أعتقد إلا أنها أرادت أنها مبنية على الطراز الإسلامي الأندلسي، لأنه لم تكن هناك علاقات بين البرتغال والمغاربة تجعلهم يأتون بهم إلى هذه البلاد ليبنوا فيها كنيسة، وربما لم يكن البرتغاليون بحاجة إلى ذلك، أو ربما كان مهندسوها من المغاربة لأنهم كانوا أرقى من البرتغاليين في ذلك الوقت.

منطقة ماء النارجيل:

وليس أولى من النارجيل أن تكون لمائه منطقة في هذه المدينة، فهي حافلة بالنارجيل، والناس يشربون ماءه بكثرة من باعة في الميادين، وبعض الأرصفة، ليس لديهم ما يبيعونه إلا ثمار النارجيل الخضر يفلقونها بسكاكين حادة كبيرة، ويشربها المشتري عندهم.

وهذا أمر معروف من أمر النارجيل في كل مناطق العالم الاستوائية، أو القريبة من خط الاستواء في آسيا وإفريقية والبحر الكاريبي.

بائع النارجيل في إحدى ضواحي سلفادور

ومع ذلك عللت الدليلة التسمية بأنها لكونها منطقة الأطفال، والأطفال باللغة الإفريقية، ولا أدري أية لغة تعني، هم كالنارجيل الأخضر، على اعتبار أنهم من الشيء الطازج.

محلة الحرية:

وسارت الدليلة إلى حي شعبي فوق تلة من التلال، وقالت: هذا هو (البهراج) كما يسمى، وتعني باللغة المحلية التي كانت موجودة في السابق: الحرية، وقد أسمي بذلك لأن الأفارقة المحررين من الرق كانوا أقاموا فيه في الماضي.

وواصلت الحافلة سيرها في شوارع ومحلات مدينة (سلفادور)، فمررنا بمصانع للشوكولاته، وسلكت الحافلة شوارع متوسطة السعة، بعضها مرصوفة بالحجارة، وليس بالإسفلت إذا كانت في مكان مرتفع، أوفيه منزلق نوعاً ما.

ومن اللطيف في الأمر أن حدائق تلك البيوت في بعضها أشجار (الجوافا) المثمرة التي شممت رائحتها العطرة من السيارة.

وأغلبها بيوت صغيرة مسنمة السقوف، سقوفها من الآجر غير النضر، أي الذي يكون لونه رمادياً من التغير بالعوارض الجوية.

ومررنا بمنطقة شارعها الرئيسي متوسط السعة، نوهت الدليلة بأنها منطقة متوسطة، بمعنى أنها لسكنى متوسطي الدخل، وليس هنا فقراء فقراً مدقعاً، بمعنى أنهم لا يجدون ما يكفيهم من الطعام، فالقوم هنا كما قالت كلهم يجدون الطعام، ولكن بعض الناس لا يحبون

العمل، فيكون دخلهم قليلاً.

أما نحن فقد رأينا الناس على أرصفة هذه المحلة أغلبهم من السود أو من المختلطين الذين يسمون (مولاتو)، أما البيض الخلص فيها، فإنهم قليل.

والمناظر هنا غير بهيجة سواء من ذلك مناظر الناس وهندامهم، وكذلك طلاء البيوت.

ميناء القوارب الصغيرة:

في ميناء القوارب الصغيرة في سلفادور

وقفت السيارة عند لسان صغير من البحر داخل في الأرض، فيه قوارب صغيرة كثيرة، وقالت: كان هذا هو الميناء الهندي القديم البسيط للمنطقة، ولذلك بقي اسمه هندياً، أي من لغة السكان الأصلاء، وهو (إينا باجيبي)، وقالت: إنها لا تعرف معناه، ومقابل هذا الميناء الهندي القديم بناء عربي الملامح أي على الطراز الأندلسي المشهور، وإن لم يكن خالصاً لذلك الطراز كما تكون الأبنية القديمة الموجودة في المستعمرات الإسبانية السابقة مثل، بيرو، وبنما، وكولومبيا، وقد شبهت اختلاط الطراز فيه باختلاط القوم في هذه الولاية حتى ظهر عندهم (المولاتو)، أي المختلطون بالفعل من بين الألوان.

ومع أسفنا الشديد أننا نفخر إذا رأينا هذه المظاهر الصغيرة من أثر بني قومنا، ومن مدنيتهم، في حين ننسى الفواجع التي حلت بنا عندما فقدنا الأندلس (الفردوس المفقود)، ولم نأخذ عظة ولا عبرة من ذلك حتى لا نضيع أندلساً أخرى، في فلسطين مثلاً، إن لم نكن قد أضعناها بالفعل، وإن كنا نعتقد أنها ستعود إلى الأمة العربية إذا ما عادت الأمة إلى رشدها، وتمسكت بدينها، وأخذت بأسباب القوة المادية والمعنوية سواء أكانت عودتها إلى ما كانت عليه قبل أن يغتصبها اليهود، أو كانت على هيئة بلاد عربية فيها أقوام غرباء من اليهود يبقون فترة طويلة من الزمن كذلك، ثم تتلاشى صبغتهم الغريبة لتصطبغ البلاد بالصبغة العربية المعتادة.

وليس هذا الكلام من وحي الخيال، أو من التمني المجرد، ولكنه من وحي التاريخ، ولما نعرفه من طبيعة الأشياء، وتحقيقه مرهون بتحقيق

الأخذ بأسباب القوة المادية والمعنوية كما أسلفت.

وذلك المبنى العربي الإسلامي الذي يقابل الميناء الهندي القديم هو الآن المركز التعليمي لولاية (بهية) كلها التي عاصمتها مدينة (سلفادور) هذه.

تمشينا قليلاً على أقدامنا في شارع البحر الملاصق لهذا الميناء، فلم نجده نظيفاً، وعلى مدى البصر جزيرة في الغرب ذكرت الدليلة أن سكانها يبلغ عددهم أربعة آلاف، وهي عالية، أي أنها في هضبة قد نهضت من مياه البحر وعلت قمتها، ولذلك صارت خضراء.

وقد كثر باعة النارجيل الأخضر في هذه المنطقة.

ميناء آخر:

أوقفت الدليلة الحافلة أيضاً عند ميناء آخر ليس قديماً، بل هو مستحدث، وقد دفنوا ممراً فيه من اليابسة إلى الميناء الأكثر عمقاً، وهو صغير مخصص لقوارب الصيد.

وقد انتشر الناس في المياه الضحلة الموجودة حوله وهم يلقطون الصدف من البحر معهم أوعية لهذا الغرض، وقالت الدليلة: إنهم يملأون هذه الأوعية منها، وهم من السود والملاتو، أي المختلطين، وقد التقطت صورة مع صبيين منهم هي المنشورة هنا.

وفي هذه المنطقة كنيسة قديمة يعود بناؤها إلى القرن السابع عشر الميلادي ليس فيها من الطراز العربي شيء.

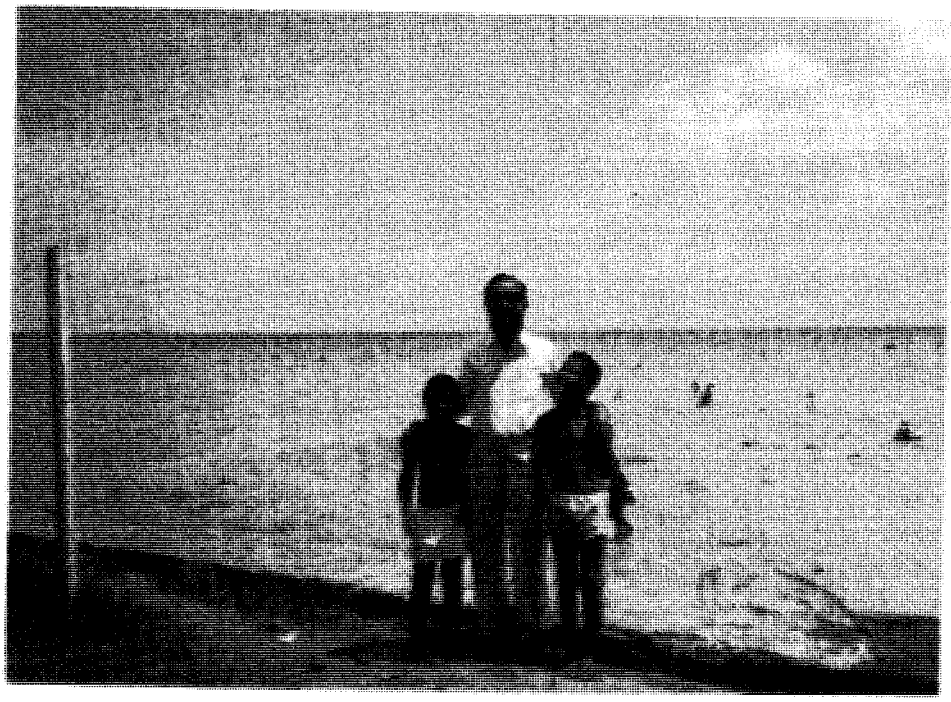

مع طفلين مختلطين في شاطئ سلفادور

تركنا هذه المنطقة سالكين ساحل البحر مع شارع سيئ المظهر عليه من جهة البر مظلات من القش اتخذت حوانيت لبيع ثمار النارجيل وغيرها، وكلها تشترك في قلة البضائع المعروضة، وسوءحالها من حيث النظافة وقلة المعروض.

وذكرت الدليلة أن سكان هذه المنطقة، ينحدرون من السود والهنود، وهذا ظاهر لنا من هيئاتهم وألوانهم.

على هيئة أكواخ الإفريقيين والهنود في شاطئ سلفادور

وقفة في المنطقة التاريخية :

قالت الدليلة: سوف نوقف سيارتنا في هذه المنطقة التي هي أهم ما وقفنا من أجله، ولذلك سوف نقضي وقتاً أطول فيها، فالسائحون يحبون أن يلتقطوا فيها الصور التذكارية، ويطلعوا على ما تحتويه.

وقالت: سوف تطلعون في هذا المكان على مظاهر الثقافة البرتغالية الممثلة في هذه الكنيسة المهمة، وعلى بعض مظاهر الديانة القديمة للإفريقيين المتمثلة في خليط من الدين الإسلامي الذي كان الإفريقيون

قد أحضروه معهم عندما جلبوا عبيداً إلى هذه البلاد إلى جانب ما اختلط بذلك من الديانة الهندية القديمة، ديانة سكان البلاد الأصلاء.

وتقع المنطقة في مكان مرتفع تعلوه هذه الكنيسة الفاخره البناء، التي يعود بناؤها إلى عام ١٧٤٥م، وتقف سيارات السياح في ميدان صغير مجاور لها.

من أشلاء الذكريات الإسلامية :

عندما وقفت حافلتنا في ذلك الميدان سارع إلينا صبية وفتيان سود كأنهم لم يغادروا إفريقية، ومع كل واحد منهم حبال رقيقة ملونة خاصة، ذكروا أنها لتحقيق الرغبات، فما على من يريد أن يحقق رغبة له إلا أن يلف واحداً منها حول ذراعه ويقول: (اللّه).

هكذا نطقوا باسم الجلالة كما ننطق به في لغتنا العربية وهو من الأشلاء التي بقيت عند هؤلاء السود من الإفريقيين المسلمين.

قالت الدليلة وهي تترجم كلامهم: إنهم يقولون: إن للمرء ثلاث رغبات فقط يمكن أن يربط هذه الحبال حول ساعده بنية تحقيقها واحدة واحدة.

وكان الصبية يهمهمون بكلمات غير واضحة وهم يربطون الحبل الذي هو يشد على الذراع كما يشد السوار، وهو من سبعة الوان، وأحد الحبال هو للتقرب لاله الحرب ليمنح القوة لمن يربط هذا الحبل على ذراعه، وذكرت الدليلة أنهم يستعملون جملة (السلام عليكم) في كلامهم، وأنها مما بقي من الآثار الإسلامية عندهم.

الذين يبيعون الأشرطة للرغبات أمام الكنيسة التاريخية في سلفادور

وقالت: إن البرتغاليين جلبوا هؤلاء الإفريقيين المسلمين من (مالي) في غرب إفريقية إثر ثورة من الإفريقيين ضدهم، وأسكنوهم هنا، ولكن الدين الإسلامي تلاشى عندهم الآن، ولم تبق إلا آثار قليلة في عاداتهم وتقاليدهم الموروثة، وفي ديانة لهم اسمها (كانون بلي)، وهذا الكلام يصدق ما كنت سمعته من قبل من الإخوة المسلمين في البرازيل، وبخاصة من الأخ خليل الأيوبي نائب رئيس الجمعية الإسلامية في (ريودي جانيرو)، وكان رئيس الجمعية الإسلامية هناك فترة من الزمن.

وقد بالغ الأخ الأيوبي فقال: إنني أضمن إذا توفر قسط من المال،

وعدد من الدعاة تحويل الآف من هؤلاء السود الذين يسكنون ولاية بهية في الوقت الحاضر إلى الإسلام، لأن في ذلك تحريكاً لماضيهم الإفريقي القديم في نفوسهم، ولتنبيههم بأنهم يختلفون ثقافة وتاريخاً عن البرتغاليين، وعن الهنود من السكان الأصلاء.

وذكر لي أيضاً من التقاليد التي بقيت لهم من الإسلام، أنهم في بعض قراهم الخالصة لديهم ما يشبه الكعبة يطوفون به، وأن لديهم أدعية فيها ألفاظ إسلامية كثيرة بقيت رغم تعصب البرتغاليين للنصرانية تعصباً أعمى في السابق.

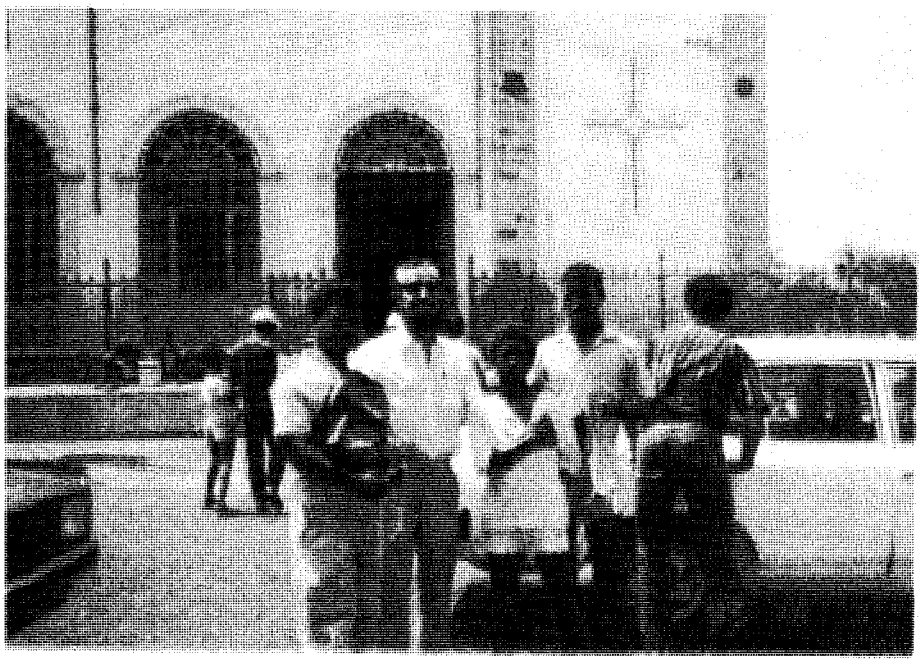

مع إفريقيين من باعة أشرطة الأماني والرغبات في سلفادور

ولا شك في أن ما عندهم الآن هي شواهد على أنهم أو بعضهم

مسلمين في الماضي؛ غير أنهم ضيعوا إسلامهم، وضيعوا أكثر التقاليد الإفريقية التي كانت موجودة لديهم، وذلك بفعل انقطاع صلتهم بالإسلام وبلادهم الإفريقية، انقطاعاً تاماً.

على أن تاريخ هذه المنطقة من البرازيل قد شهد حروباً عدة بين السود والبرتغاليين سميت ثورات على المستعمرين، ولكن بعضها كان حرباً قام بها المسلمون، وذكروا من بينها زعيماً مسلماً أصله من العبيد الذين جلبوا من مالي، تزعم ثورة عارمة ضد البرتغاليين، ولكن هؤلاء كانوا أقوى منه، فهزموه وقضوا على ثورته.

موضوع مهم:

هذا الموضوع مهم جداً، أولاً من الناحية التاريخية الإسلامية يجب معرفة التطورات التي حصلت للمسلمين الذين جلبهم البرتغاليون بالإكراه إلى هذه البلاد، وباعوهم عبيداً من أجل أن يعملوا في المزارع وغيرها، فيجب أن نعرف من هم أولئك المسلمون.

ثم يجب أكثر من ذلك أن نعرف الأسهل منه، وهو بقايا المظاهر الإسلامية والتقاليد القبلية التي كانت قد اصطبغت بصبغته في هذه الولاية، وبجوارها من الشمال حيث الأكثرين من الإفريقيين في البرازيل، وهذا إلى جانب كونه مطلباً علمياً، فإنه مطلب إسلامي إذ إبلاغ أولئك القوم بالدعوة الإسلامية أمر واجب حتى ولو لم يكونوا في الأصل من المسلمين.

ويجب أن تتظافر جهودنا نحن المسلمين القادرين على المساعدة من

خارج البرازيل مع الإخوة المسلمين البرازيليين الأنقياء الذين يكونون قادرين أكثر من غيرهم على شرح الموضوع للسود من أهل البلاد الذين هم من أصول إفريقية، وكل السود كذلك، ولكن هناك طوائف قد خرجوا من دائرة السواد الحالك بفعل الجو، وبفعل الاختلاط، ولكنهم يعرفون أنهم ينتمون إلى الأصول الإفريقية، فيمكن أيضاً أن توجه إليهم الدعوة، حتى إذا أسلم منهم أو من السود مسلمون، كان قيامهم بدعوة قومهم إلى الإسلام أمراً مؤكداً، وكان حصول نتيجة طيبة أمراً محتملاً إذا صدقت النيات، وصلحت الأعمال، وما ذلك على الله بعزيز.

في داخل الكنيسة التاريخية:

دخلنا مع أفواج المتفرجين إلى داخل الكنيسة بنية التفرج بطبيعة الحال كما فعلنا مع الصبية السود، وإن كنا نعتقد أن ما ذكروه كله خرافات باطلة؛ حاشا اسم الجلالة (الله)، وأما الآخرون الذين دخلوا معنا من السواح، وهم من عدة حافلات في سيارات أخرى، فإن بعضهم دخلها بنية التعبد، وبنية تحقيق رغبة من الرغبات، والتخلص من رهبة من الرهبات.

فمثلاً هناك غرفة ملتصقة بالكنيسة فيها مقادير كبيرة من الشعر، يقصها الزائرون من شعورهم، ويضعونها في تلك الغرفة بنية التخلص من ذنوب ارتكبوها، أو من هموم ركبتهم.

وهناك حبال متعددة يأتي بعضهم إليها، ويعقد فيها عقدة يرجو من ذلك أن يتحقق غرض من أغراضه، وقد راقبتهم يفعلون ذلك، وعجبت

من بعضهم من ذوي المظهر الجيد الذين قد يكونون من المتعلمين المثقفين، ومع ذلك يؤمنون بتلك الخرافات.

وفي تلك الغرفة الواسعة خرافات متعددة، وأشياء لم تشرحها الدليلة، ولم نرغب في شرحها.

وهناك غرفة أخرى فيها أطراف صناعية تبرعت بها الكنيسة لمن يصابون في الحوادث ويستدعي الأمر تركيب أطراف صناعية لهم.

وفي قسم ملحق بالكنيسة على هيئة متحف معرض لبعض الديانات الإفريقية، وأكثرها مزعج للناظر؛ لأن فيها صورة لما يسمى بإله الحرب عندهم، وقد عرضوا مشهداً بدا فيه قوم من السود وكأنهم يصلون كما نصلي، ولما استرعيت نظر الدليلة إلى ذلك وسألتها عنه قالت: إن هذا ليس عجيباً، وإنما هو مظهر من مظاهر الديانة الإسلامية التي كانوا عليها قبل الوصول إلى هذه البلاد.

وبالنسبة للهنود، وهم السكان الأصلاء، فإنهم صوروا خرافات لهم، بعضها يبدو من رسومه ورسوم الآلهة التي كانوا يعبدونها كأنها الرسوم في الهند الآسيوية، ولا أدري أذلك يدل على أنهم كانت لهم علاقة بالهند في القديم، وأن تسميتهم بالهند قد تكون صحيحة على هذا الاعتبار أم لا.

والغالب على الظن أن الأمر ليس كذلك، لأنه من المعروف أنهم عاشوا في القارة الأمريكية منعزلين عن بقية القارات منذ أزمان سحيقة.

والأمر ليس من السهولة بمكان أن يبت فيه بسرعة لأنه يحتاج إلى

جهود مضنية من علماء مختصين ومتفرغين لذلك الغرض.

مقهاة المنطقة التاريخية :

شارع في القسم القديم من سلفادور

بعد الجولة غير المبهجة في هذه الكنيسة وما تحتويه، وإن كانت جولة ممتعة من حيث المعلومات، جلسنا في مقهاة صغيرة بجانب الميدان بعد أن تمشينا على أقدامنا في حي قديم مجاور للميناء.

فكان الصبية السود يلاحقون السياح يعرضون عليهم أن يشتروا منهم من حبالهم، ولكنهم كفوا عندما دخلنا المقهاة؛ لأن صاحبها

يمنعهم من دخولها.

واشترت الدليلة اثنين منها عقدت أحدهما في ذراع المرأة العروس، وقالت: تمني، فقالت: أتمنى أن تستمر سعادتي مع زوجي، وعقدت فيها الثانية، وقالت: للاستقرار في بلادي.

وهذا كله من باب المداعبة، وإلا فإن الدليلة متعلمة ذكرت لي أنها لا تؤمن بهذه الخزعبلات.

وشربنا قهوة ونحن ثلاثة، أنا وصديقي الشيخ عبد العزيز المسند والدليلة السياحية بخمس دولار ٢٠٪ من الدولار كما يعبر عن ذلك الآن، وذلك لرخص القهوة عندهم، ولأنهم يقدمونها في (فناجين) من اللدائن صغيرة تكون في حجم (فناجين) القهوة التي نشربها في بلادنا، أو أصغر، ولا يملأون (الفنجان)، ولكن قهوتهم مركزة، ويكثرون عليها من السكر.

وقد عقدت هذه السياحة القصيرة صحبة، أو قل جرأة على الكلام بين الزملاء فيها، فتحلقوا في المقهاة كل منهم يحدث الآخر عن بلاده، وعن مشاعره، وكلهم غرباء عن (سلفادور) هذه، وكانت الدليلة التي هي من أهل البلاد، ومن المختلطين، وسوف تأتي صورتها تحدث الجميع بأحوال هذه البلاد في الماضي والحاضر مما جعل الجلسة مفيدة.

وقد تركتُ القوم في أثناء الحديث، وعلقت مصورتي بيدي بعد أن أخبرتني الدليلة ألا بأس من ذلك، ودخلت الحي القريب ألتمس منظراً

فيه يستحق أن يصور، فلم أجد ألا بيتاً من الطين المطلي بالجص التقطت صورة للشارع التي هي فيه.

وكانت الدليلة قد نوهت بأن المنطقة هذه كلها تاريخية تعود إلى القرن السابع عشر.

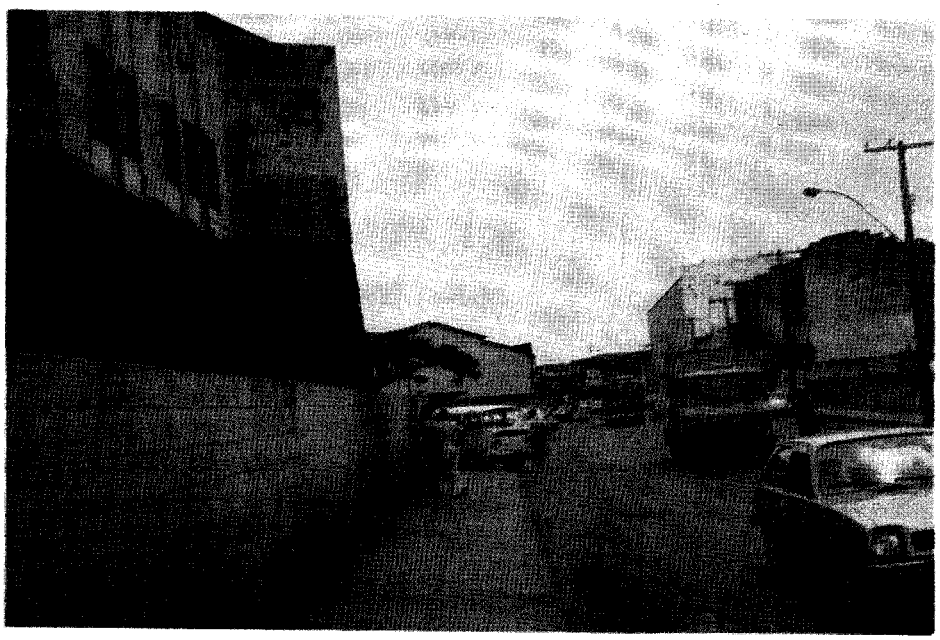

شارع في المنطقة القديمة في سلفادور

وتسمى التلة التي تقع عليها (مونت ساراتي) أي تلة ساراتي، وتشرف على ماحولها، وإن كان ارتفاعها غير عالٍ.

وأهم الأبنية فيها بعد الكنيسة مستشفى تشرف عليه جماعة مسيحية يسمى مستشفى العائلة المقدسة.

حديث عن الهنود:

عدت إلى المقهاة ولم يزل القوم يتحدثون فيما بينهم بالبرتغالية، فقلت للدليلة: لقد رأيت الأفارقة هنا فرأيت بعضهم لم يتغيروا، ورأيت أكثرهم قد خف سوادهم، فماذا عن السكان الأصلاء الذين يسمون هنا بالهنود، إنني لم أر جماعات منهم كالذين رأيتهم من الإفريقيين.

فقالت: إن الخلص منهم الذين لم يختلطوا بغيرهم موجودون في أماكن منعزلة بعيدة عن المدينة، أقربها منها يبعد ثلثمائة كيلو متر، وإنهم لم يتغيروا عن أشكالهم التي عرفوا بها في القديم، فهم سود العيون والشعور، قصار الأجسام لهم هيئة خاصة لا يشاركهم فيها غيرهم من السكان المعروفين هنا من ذوي الأصول البرتغالية والإفريقية.

فقلت: إن كونهم لم يتغيروا هو أمر طبيعي؛ لأن هذه هي بلادهم الأصلية لم يطرأ عليها تغيير، لذلك لا يتوقع أن يطرأ تغيير على أشكالهم، فهم لم ينتقلوا من بلادهم إلى بلاد غريبة عنهم حتى يؤثر جوها فيهم.

وقالت: أما الذين يعيشون منهم في المدن، فإن أكثرهم قد تغيروا بسبب الاختلاط مع الآخرين، وهذا صحيح، ولكن المرء منا لا يعدم أن يرى ذوي الملامح الهندية في شوارع المدينة.

والقول بالملامح الهندية هنا فيه تجوّز، إذ أولئك الأمريكيون الجنوبيون الأصلاء ممن يسمون بالهنود لهم ملامحهم الخاصة الواضحة في وجوههم، ولهم أيضاً خصائص جسدية متميزة مثل قصر الأجسام

قصراً غير بالغ، وضيق العيون ضيقاً لا يصل إلى ضيق عيون الصينيين والتايلنديين مثلاً، وقصر الرقبة بالنسبة إلى الجسم، وضخامة الصدور عند النساء، وأحياناً تكون وجناتهم بارزة.

وهم في هذه البلاد الأمريكية الجنوبية القريبة من خط الاستواء أصغر أجساماً من الذين يعيشون منهم في جبال الأنديز الذين أسميتهم (هنود الانديز)، فأولئك أقوى أجساماً، وأضخم أحجاماً، وقل أن ترى فيهم نحيلاً.

ميدان روما:

سارت الحافلة من المنطقة التاريخية، فاخترقت حياً للعمال يطل على شاطئ البحر، وهو هنا المحيط الأطلسي كما هو معروف، ورأيت فيه مظلات كثيرة أمام الحوانيت، والبيوت الشعبية من القش، قالت الدليلة: إن أغلب سكانه هم من السود.

ثم مرت أمام قصر الملك البرتغالي الذي كان يحكم البرازيل من مدينة (سلفادور) هذه عندما كانت عاصمة لهذه البلاد.

ووقفت في ساحة اسمها: (بلاسا دي هوما)، وبلاسا: ساحة أو ميدان، و(دي) أداة أضافة بين المضاف والمضاف إليه مثل (أوف) بالإنكليزية، و (هوما): روما، لأنهم ينطقون الراء هاء في أكثر كلامهم في بعض بلاد البرازيل، وقد قدمت من الشواهد على ذلك كلمة (الرُّز) العربية الفصيحة ينطقون بها (أهزّ) بإبدال الراء هاءً، وبخلاف الأسبانيين الذين يلفظونها (الرز) كما نتكلم بها.

وسلكنا بالسيارة شارعاً متفرعاً من هذا الميدان مزدحما جداً بالسيارات التقطت له صورة من داخل الحافلة.

شارع مزدحم في المدينة القديمة في سلفادور

أما البيوت في هذه المنطقة، فإنها ذات سقوف مسطحة غير مسنمة مما يدل على أنها قد بنيت على طراز برتغالي حيث أغلب البيوت في الأندلس كانت مسطحة السقوف، كما هو الطراز العربي في البناء الذي نشأ من كون البلدان العربية لا تعتبر بلداناً مطيرة؛ لذلك لا حاجة إلى السقوف المسنمة التي ينزلق المطر عنها بخلاف البلدان المطيرة، والبلدان الثالجة في الشتاء، ورأيت الناس في شمال الصين، وفي الاتحاد السوفيتي يجعلون سقوف بيوتهم ممالة إلى جهة واحدة حتى يمكن

كنس الثلوج منها.

في سوق إفريقي:

إفريقيات الأصول في سلفادور

وأرجو عفو القارئ الكريم عن هذا التجوز في التعبير، فالسوق أسميته إفريقياً لأنه يشبه تمام الشبه الأسواق الإفريقية في إفريقية في الوقت الحاضر، فالفواكه والخضروات هنا وهناك متشابهة من الموز إلى العمبة (المانجو)، وأكثر الباعة فيه من النساء كما يكون عليه الأمر في الأسواق الإفريقية المشابهة، وأقلهن ممن تسمى الواحدة منهن في

الفصحى بالنصَف - بفتح الصاد - وهي التي مضى نصف عمرها الأطيب كما قال الشاعر:

وإن أتوك وقالوا إنها نَصَفٌ فإن أطيب نصفيها الذي ذهبا

وغالباً ما تكون في كلا الوضعين بدينة إن لم تكن مترهلة، وأرض السوق مليئة بقشور الفواكه ونفاياتها، والمشترون من السوق في أغلبهم من ذوي اللون الأسود أو الرمادي، وبعضهم قد اقتصر في لباسه على التبان، وهو السروال القصير.

ولا ينبغي أن يفهم الأمر على أن سكان (سلفادور) كلهم بهذا الوصف، بل هم في الأحياء الحديثة، والأوساط التجارية يبدون بأكثريتهم من البيض المتغيرين بسبب الطقس، ومن المختلطين، وإنما الأمر كما ذكرته في هذه السوق الشعبية.

ثم مررنا بالميناء الرئيسي لمدينة (سلفادور)، ويقع على شارع فرنسا إلى اليسار منا تلة فوقها منازل قديمة من أقدم الأماكن التي بنيت في (سلفادور)، وذكرت الدليلة أنه فيه - على صغره - ست كنائس قديمة، وذلك أن البرتغاليين كانوا قد بنوه في وقت الفورة الدينية عندهم.

في وسط المدينة:

ثم عدنا إلى وسط المدينة التجاري وهو حي المال والأعمال التجارية، واخترقنا ميداناً مهماً فيه يسمى (كايو)، يطل عليه بناء مكسو بالفسيفساء التي تشبه العربية الأندلسية.

وهذا الحي يقع على شاطئ البحر مثل أكثر الأحياء المهمة من هذه المدينة.

أوقفت الدليلة السيارة عند سوق كبير واسع يسمى (سوق كايو موديلو)، وهو متصل المتاجر؛ لأنه سوق مسقوف، فيه الحوانيت التجارية في طابقين يصل بينهما درج معتاد، وليس كهربائياً كما يكون في الأسواق التجارية الحديثة، وسمعت عجوزاً تتكلم، وهي تجاهد في الصعود إلى الطابق الثاني من هذا السوق الواسع بكلمات استرعت انتباه الدليلة فقالت: إنها تقول: إنهم بنوا هذا السوق للشباب، مع أنه فيما لاحظته من أمره ليس صعب الارتقاء.

العرب والمسلمون في (سلفادور):

من الغريب أن يأتي الحديث عن العرب والمسلمين في (سلفادور) مقروناً بالحديث عن الجولة السياحية، والبيع والشراء في سوق عامة.

ولكن السبب في ذلك أنني كنت سألت الدليلة، وهي من أهل هذه البلاد، عن العرب والمسلمين هنا؛ إذ لم أجد أحداً من الإخوة، أو العرب المسلمين في البرازيل الذين التقيت بهم، وسألتهم عن ذلك يعرفون من هذا الأمر شيئاً.

ولكن الدليلة ذكرت أنها تعرف بعض التجار من العرب في هذا السوق، وأنها سوف ترينا إياهم.

وذلك أن هذا السوق فيه حوانيت تبيع البضائع التي تعجب السياح كالحجارة الكريمة، والأحجار نصف الكريمة، التي تشتهر بها

البرازيل، وأكثر هذه الأحجار عجيب المنظر والشكل يحمل من البرازيل إلى سائر البلاد إضافة إلى المصنوعات اليدوية والتحف الكثيرة.

وقفت بنا الدليلة على حانوت تاجر عربي مسيحي من لبنان اسمه (سعد الله عكاري) من عكار في لبنان يتكلم العربية بصفة طبيعية لأنه من جيل المهاجرين الذين وفدوا بأنفسهم من لبنان، وهو صاحب حانوت غير كبير يبيع الحقائب والمصنوعات الجلدية.

وقد حدثنا بحديث عجيب عن العرب والمسلمين في هذه المدينة التي لا نعرف من أمرهم فيها شيئاً، بل إن إخوتهم المسلمين في بلدان البرازيل الأخرى لا تكاد توجد لديهم عنهم أية معلومات تذكر.

قال سعد الله عكاوي: العرب هنا كثير، ولهم جمعية عربية، نائب الجمعية فيها لبناني مسلم اسمه جميل مفتي، وذكر أن الأكثرين من العرب هنا هم من اللبنانيين؛ غير أنه يوجد فلسطينيون أيضاً، وأنه يعرف حوالي عشرة أشخاص من المسلمين، وذكر رقماً عجيباً، وهو أن العرب يبلغ عددهم في (سلفادور) نفسها مائة وعشرين أسرة، أو (عائلة) على حد تعبيره.

وذكر أنه يوجد في هذه السوق نفسها ثلاثة أشخاص من التجار العرب، ذهب بنا ومعنا الدليلة إلى حانوت أحدهم، لأنه قريب من حانوته واسمه (جورجس حنا)، وهو مسيحي لا يتكلم العربية، لأنه مولود في البرازيل.

ومع أن الحديث عن وجود العرب في مكان ما يكون ساراً لأنه

مما يدل على أنهم قد يعملون عملاً مفيداً للعروبة والإسلام، إلا أن لأمر هنا أحزنني عندما سمعت هذه الأرقام، وبخاصة عن المسلمين الذين لم يقوموا بتأليف جمعية إسلامية، وليس لهم مسجد، بل حتى مصلى عام يؤدون فيه شعائر دينهم، ويتعارفون فيما بينهم، وبخاصة بين أفراد أسرهم حتى يتعرف الشاب المسلم على الفتاة المسلمة، وقد يتزوج بها، فيؤلفان أسرة مسلمة؛ بدلاً من أن يتزوج الشاب المسلم بفتاة مسيحية، أو الشابة المسلمة بفتى مسيحي، فتكون النتيجة الذوبان والضياع لأولادهما.

وربما قال المسلمون هنا كما قال إخوان لهم في أماكن أخرى: نحن قليل، ولا نستطيع تأليف جمعية إسلامية.

والجواب على ذلك من أن الجماعة أقل عددها في الصلاة اثنان، ولو كان لا يوجد غير اثنين فقط يؤديان الصلاة جماعة لكان الواجب الديني يقضي عليهما أن يقوما بتأليف الجمعية التي هي وسيلة لاكتساب الصفة القانونية لوضع المسلمين، وبذلك يسهل عيهم استئجار مصلى، ثم قد يمكنهم بعد ذلك أن يقيموا مسجداً يجتمع فيه المسلمون، ويتعاونون في أمور دينهم عن طريق اجتماعهم فيه.

ومن الأمور المجربة في بلاد المهاجر هذه أن المسلمين لا يهتدي بعضهم إلى معرفة بعض إذا لم يكن هناك مكان للعبادة من مركز أو مسجد أو حتى منزل معروف مشهور يجتمعون فيه لأداء الصلاة، وكم من مكان كان يظن أنه خالٍ من المسلمين، فإذا بالناس يفاجئون عندما يقام المسجد بأعداد من المسلمين لم يكونوا يعرفون وجودهم من قبل.

وبعد فإن مدينة (سلفادور) مدينة كبيرة، وهي رابعة المدن في البرازيل من حيث عدد السكان بعد سان باولو، ريودي جانيرو، و(بيلوا أوريزنت) عاصمة ولاية ميناس جراس.

وهي جديرة بأن يكون فيها مسجد يرتفع منه الشعار الإسلامي شامخاً هادياً لمن يهديه الله إلى سواء السبيل.

لا سيما إذا كررنا ما ذكرناه سابقاً من كون (سلفادور) بالذات، وولاية بهية على وجه العموم، فيها طوائف من ذوي الأصول الإفريقية المسلمة الذين خرجوا من الإسلام، ويعدون من الناحية الشكلية من المسيحيين.

الطبول في السوق:

تركنا التاجر العربي وإن لم تتركنا الآلام على مصير أهل العروبة والإسلام في هذه الديار، ورحنا نتجول مع الدليلة في السوق، فسمعنا طبولاً إفريقية تدق، وقالت الدليلة: إن السود هنا يحبون الطبول، كما أن البرازيليين على وجه العموم يحبون الرقص على الطبول، ووقفنا عليها فإذا بها من ثلاثة أشخاص يعزفون، ومعهم شخصان يرقصان على إيقاع الطبول أحدهما أسود والآخر نحاسي اللون.

وهذه الفرقة تسترزق من العزف على الطبول والرقص عليها إذ الذين يعشقون سماعها يقفون عليهم ثم يعطونهم ما تيسر من النقود الصغيرة.

وكذلك رأينا شخصاً واحداً يقرع وحده في مكان آخر من مدخل

السوق.

واشترينا بمساعدة التاجر العربي، وبحضور الدليلة، تحفاً وأحجاراً نصف كريمة بمائة وخمسة وأربعين دولاراً، ولم أكن أحمل معي هذا المبلغ لأنني لم أكن أعرف أننا سنقف في السوق، فأعطاني التاجر ما تيسر منه، وطلب مني أن أعطي الدليلة الثمن عندما نصل الفندق، وهي ستدفعه له بعد ذلك.

النسناس في المطعم:

في مقهاة السوق المهم في سلفادور

دخلنا مطعماً ومقهاة في جانب الطابق الثاني من السوق، فيه شرفة تطل على البحر، وذلك من أجل شرب شيء من الشراب البارد، فكان مع المنظر الجميل في هذا المطعم أن اقترب قارع الطبل، واقترب معه رجل يحمل على ذراعه نسناسين اثنين، والنسناس حيوان صغير يشبه القرود؛ إلا أنه في حجم الفأر الكبير، وأهم ما في جسمه ظهوراً عيناه الكبيرتان، وذيله الطويل، وهو يعرضهما للبيع، وانتهزت الفرصة فالتقطت صورة لهما وهما على يد الدليلة السياحية (ماريا نونيت)، وهي من (المولاتو)، أي المختلطين.

الدليلة السياحية المختلطة (مولاتا) تضع النسانيس على ذراعها وبجانبها البائع الإفريقي في سلفادور

ويسمون هذا النسناس هنا (سانغوي)، وقد أعطيت صاحبهما شيئاً في مقابل التفرج عليهما وتصويرهما، وهو ثلاثة آلاف كروزيرو، أي حوالي ثلث دولار أمريكي، فسر بذلك سروراً كبيراً.

نهاية الجولة:

وكانت نهاية هذه الجولة السياحية وقفة في منطقة ذات أبنية عالية (عمارات)، وهي فاخرة إلا أن أرصفتها غير معتنى بها، فبعضها بلاطه غير مستوٍ، واسمها (قراسا).

ولاحظت هنا أشياء بالمقارنة مع ما في ذهني عن مدينة (ريو دي جانيرو) بأن الشحاذين الموجودين في الأماكن السياحية مثل منطقة (كوبا كابانا) غير موجودين هنا، أو هم قليل جداً.

وكذلك النائمون على الأرصفة لا يكادون يوجدون هنا في حين أنهم موجودون في بعض الأحياء في (ريو).

كما أنني كنت أنتظر أن يكون الجو أشد حراً لأننا هنا نكون قد اقتربنا من خط الاستواء الذي يقع إلى جهة الشمال من مدينة (سلفادور)، كما أن الذي في أذهان الناس أن ما قرب من خط الاستواء سواء من جهة الشمال أو من جهة الجنوب يكون متأخراً عما بعد منها، وربما كان ذلك صحيحاً في الجملة، وإن لم يكن قاعدة عامة، فإننا وجدنا تقدماً هنا في الأبنية والمتاجر، وحتى في الذوق العام.

وشيئاً آخر لاحظناه، وهو كثرة الألوان المماثلة للون العربي، وبخاصة للون الأعراب من السمرة إلى الحمرة الداكنة، ولذلك ما كنت

أنا ورفيقي الشيخ عبد العزيز المسند نساءل أنفسنا مازحين عمن نراهم في مثل تلك الألوان: أهؤلاء من نجد؟ وما الذي جاء بهم إلى هذه البلاد النائية؟

غير أنني ما أن أدقق في وجوه هؤلاء القوم الذين يماثلون أعراب الصحراء في الوانهم، حتى أجد أن تقاسيم وجوههم تخالفهم؛ بل هي من أنواع لم أرها من قبل ﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾.

يوم الأربعاء: ٨ / ١ /١٤٠٦هـ.

على شاطئ البحر:

مضى أول هذا النهار كما مضى أول نهار أمس في التسكع على شاطئ البحر القريب من الفندق، والتقاط صور لما فيه.

وقد رأيت عجباً من إقبال الناس على الخروج إلى البحر والتشمس فيه، مع أن الشمس هنا حارة في كل فصول السنة، ولكن ربما كان بعضهم من رجال ونساء وأطفال يخرجون لمجرد الخروج والتخفف من اللباس إن لم نقل التخلي عن اللباس، إلا ما لا يكاد يعد لباساً من سيور فيها رقعتان من الأمام والخلف، تضعها المرأة على العورة المغلظة، ويتخفف الرجال والصبيان إلا من التبان، وهو السروال القصير الذي يتقلص عند البحر حتى لا تبقى منه إلا قطعة لا تكاد تكفي لستر العورة، وإن سترت جلدها، فإنها لا تستر حجمها.

وفي المساء كانت التمشية المعتادة لنا أيضاً على مطاعم ومقاه فيما

قرب من الفندق، فكان الطابع العام هو الرخص في الأسعار، أو البساطة البريئة في التعامل مع الناس.

السفر إلى المطار:

تبلغ المسافة من الفندق إلى المطار حوالي الأربعين كيلو متراً، وقد قطعناها عند المجيء إلى مدينة (سلفادور) في الليل، فلم نبصر من أمرها شيئاً، لذلك طلبنا من موظف الاستقبال في الفندق أن يبحث لنا عن سائق يتمهل في سيره، ويشرح لنا أسماء ما نمر به؛ لأننا نجد وقتاً، ونريد أن نعرف من أمر المنطقة في النهار ما لم نعرفه في الليل.

ودفعنا لفندق (قراند هوتيل دي بارا) أو (باها) كما ينطقون بها، ومعناها فندق الريف الكبير أجرته لثلاث ليال ٨٣٤ ألف كروزيرو للشخص الواحد في الغرفة الواحدة، ويساوي ذلك (٨٤) دولاراً أمريكياً أجرة الغرفة مع الإفطار السخي الذي لا بد من أن يكون داخلاً في أجرة الغرفة في كل أنحاء البرازيل، كما شمل ذلك ما تناولناه من الشراب المباح الموجود في ثلاجة الغرفة.

وهذا منتهى الرخص الذي عرفناه في البرازيل.

قالت الموظفة الموجودة في مكتب الاستقبال في الفندق، وهي (مولاتا) أي مختلطة: إننا لم نضف الخدمة إلى قائمة الحساب، ودفعها راجع إليك، فإن شئت دفعتها لأنها للعمال، وإن لم تشأ، فإن ذلك ليس إلزامياً، فأعطيتهم أياها، وهي ٤٤ ألف كروزيرو، ويساوي ذلك أربعة دولارات أمريكية ونصفاً، ودفعتها راضياً، بل شاكراً لهم لحسن

خدمتهم، والأمان الموجود في الفندق، والمعاملة الممتازة منهم، إضافة إلى الرخص العظيم، مع توفر الخدمات فيه، فمثلاً فيه مطعم كبير يمتلئ بالناس من غير سكانه، لأنه المطعم الجيد في المنطقة، وفيه حديقة فيها بركة كبيرة نظيفة للسباحة، وفناء حولها للتشمس مع أن الفندق يطل على البحر، ويمكن من يريد أن يسبح فيه، أو يتشمس أن يذهب إليه في دقيقة واحدة، وعلى ذكر الخدمة وهي الإكرامية (البقشيش) عند بعض الناس، فإنها لا تضاف إلى قائمة الحساب، ولكن بعضهم يدفعها من عنده، وإذا لم يدفع منها شيئاً فلا أحد يطلب منه ذلك، أو حتى يشعره بأنه دون الآخرين.

وقد لاحظت الامتنان العظيم لنا عندما ندفع للعمال في المطاعم والمقاهي شيئاً منها، مما يؤكد بأن القوم لا يعتبرونها واجبة الأداء.

في طريق المطار:

ذكر الفندق أن أجرة السيارة للمطار هي ٦٠ ألف كروزيرو، أي حوالي ٦ دولارات أمريكية.

وتركنا الفندق الودود، وأهله الأكثر وداً، ومدينته ذات الأخوة العنصرية، بل الأخوة اللونية التي لا تلقي بالاً للعنصرية، وذلك في الساعة الثانية عشرة ظهراً.

واخترقنا ضواحي خضراً من المدينة، وتلالاً مقشورة التربة، فصارت لذلك حمراء، لأن التربة في (سلفادور) متعددة الألوان، وهذا من أوجه العجب فيها.

ريف سلفادور

وبعض التلال ليس عليها أبنية، وإنما تجمعت الأبنية، ومنها الكبيرة المتعددة الطوابق في الوديان والأماكن المتسعة فيما بينها حتى صارت تشبه الغابات الطبيعية في الوديان.

وصار السائق يشرح لنا ما يراه بالبرتغالية شرحاً هو أشبه بالإعجام، لأننا لا نفهم من كلامه إلا إشارات مبهمة وكلمات مفردة، لو استعملها وحدها لهان علينا الأمر، ولكنه يجشمنا الصعب من كلامه، فقلنا له في محاولة لفهم كلامه: على رسلك وإن كان ذلك بالبرتغالية فنحن لا نعلم مما تقول إلا القليل.

فكان جوابه أن سألنا عن أمرنا قائلاً: أمريكانو؟ أي هل أنتم أمريكيون؟ فقلنا له: لا، نحن قد ظلمنا الأمريكيون، ولم نستطع لضعفنا أو تخاذلنا أن نرد ذلك الظلم منهم، فأغراهم بنا، فصاروا يجاهرون، وربما يفاخرون بخذلاننا، ونصرة أعدائنا اليهود علينا.

ومررنا بغابات ملتفة من أشجار النارجيل، وعرفت من ذلك سبب وفرة النارجيل في المدينة، ورأينا نهراً يسمى نهر (آصو الكبير) على يمين الطريق، وعلى ضفتيه بعض المزارع، وإن كانت أشجار الغابات هي الغالبة على المنطقة.

وكان الطريق ينخفض ويرتفع بسبب طبيعةالأرض المؤلفة من تلال متجاورة تفصل بينها أماكن منخفضة، ولم يساووا الطريق بالأخذ من المرتفع، وردم المنخفض كما نفعل الآن في الطريق الحديثة بلادنا.

وقال السائق وهو يعتذر عن كون السيارة ترتفع وتنخفض: وإنها تشبه الطائرة، وقد امتدت الأبنية العالية المتعددة الطوابق مع امتداد الطريق وأكثرها بيض الطلاء.

وهنا رأينا بعض الأبنية الكبيرة هذه مبنياً على سفوح التلال، أو على ظهور غير العالي منها وأوضح السائق سبب ذلك بأن أرانا مستنقعات واسعة تشمل معظم الأماكن المنخفضة في المنطقة، وبعضها على هيئة بحيرات صغيرة، وبينها نهر غير كبير.

الرمال الملونة:

عندما رأيت (سلفادور) من الطائرة قبل سنتين، وكنت مسافراً من

باريس إلى ريوردي جانيرو مع الشركة البرازيلية (فارج)، فنزلت الطائرة في (سلفادور) ولم ننزل منها نحن الركاب العابرين، وشاهدت من الطائرة فيها عجباً، وهي أشياء كأنها ملح البحر منثورة على الأرض ؛ مما جعلني أظن أنها أملاح من أملاح البحر، غير أنني عندما دققت النظر فيها وجدت أن بعضها يركب بعض التلال، ولو كانت سباخاً من أملاح البحر لا نحصرت في الأماكن المنخفضة أو المستوية، وجاء في ظني أنها رمال غير أن الرمال في أماكن أخرى بعضها مجاور لها ذات لون أحمر كأنها الرمال في بلادنا في القصيم، فبقي السؤال في ذهني عن ذلك الشيء الأبيض الذي يتوج بعض التلال، ويركب سفوح بعضها كأنه الثلج في البلاد الباردة.

وسألت عنه بعض الإخوة من العرب في البرازيل من غير أهل (سلفادور)، فلم يدروا ما هو، والآن اتضح لي أمره، فقد شاهدته من السيارة من قرب كما كنت شاهدته من الطائرة عن بعد، وإذا به رمل من الرمال البيض يركب بعض التلال، وينتشر في أماكن غير منخفضة يجاوره رمل أحمر مختلف عنه تماماً في اللون كأنه الرمل الموجود في القصيم.

ومن الملفت للنظر أن الرمل الأحمر يكون أكثر ما يكون في الأماكن المنخفضة والمستوية، وأما ذلك الرمل الأبيض الذي يشبه الملح فإنه يكون في الأماكن التي هي أرفع من تلك، وهذا أمر عجيب.

المؤلف عند مدخل المطار في سلفادور وبدت خلفه الرمال البيض كالثلوج

قرية سانتو كرستوفر:

وصلنا قبل أن نصل المطار إلى قرية ذات مساكن شعبية، بمعنى أنها لذوي الدخول المحدودة، اسمها (سانتو كرستوفر) أي القديس كرستوفر، وأكثر سكانها (مولاتو)، أي من المختلطين في ألوانهم ودمائهم نتيجة للتزاوج بين ألوان مختلفة، هي اللون الأوروبي المتمثل أساساً في البرتغاليين، واللون الأمريكي الأصيل المتمثل في الهنود الأمريكيين، واللون الإفريقي الأسود.

الطريق المظلم:

أظلم الطريق في وسط النهار، وذلك بأنه دخل في غابة كثيفة متشابكة من أشجار البامبو الذي هو ذو قصب عالٍ، ويستعمل في بعض البلدان المطيرة مثل بورما وبنغلاديش في بناء البيوت بديلاً من الخشب أو غيره من مواد البناء، ويقولون: إن البيت منه يعيش من عشرين سنة إلى خمس وعشرين سنة.

وفي الصين رأيتهم يستخرجون من لينه أجزاء يطبخونها ويأكلونها كما يؤكل الخضار، وبخاصة في فصل الشتاء؛ حيث تقل الخضرة عندهم بسبب البرد الشديد في شمال الصين ووسطها.

وقد تكاثفت أشجار (البامبو) على هذا الجزء من الطريق حتى تلاقت فروعها من جانبيه، وصار مظلماً بسببها.

وقال السائق: هذا البامبو غرسه الأمريكيون.

مغادرة (سلفادور):

وصلنا مطار (سلفادور)، فوجدت مكاتب الترحيل مفتوحة على رصيف الشارع، وإن يكن مفصولاً بينها بفاصل من رصيف مسقوف، فتذكرت بذلك بعض البلدان المتخلفة كالهند التي لا تسمح بالدخول إلى قاعات ترحيل الركاب في المطار إلا للمسافرين الذين يحملون تذاكر سفر، وهؤلاء البرازيليون جعلوا ذلك مباحاً لكل أحد، شأنهم في ذلك شأن المطارات في بلادنا.

وعندما قدمنا تذاكرنا، ووزنوا الأمتعة، طلبوا منا أن ندفع ضريبة

المغادرة للمطار، وهي زهيدة جداً، ولكن في مكان آخر فيه، فذهب رفيقي الشيخ عبد العزيز المسند لدفعها، وبقيت عندهم، فكانوا يتبادلون التذاكر السعودية ينظرون إليها، ويلفت بعضهم نظر بعض إليها، لأنهم لم يتعودوا على رؤية مسافرين سعوديين.

ومن الغريب في الأمر أن الموظف والموظفة اللذين كانا في المطار وقتها لا يتكلمان الإنكليزية، وإنما كلمتهما بكلمات من البرتغالية، وبأننا مسافران إلى مدينة (رصيفي) المذكورة في التذكرة، وهذا أمر عجيب، ولكن كان له مماثل في مكتب (فارج) للطيران في مدينة برازيليا عاصمة البرازيل، فلم أجد في المكتب من يحسن الإنكليزية، وحاولت التفاهم بالكلمات التي أعرفها من البرتغالية، وهي قليلة، فلم تُجد شيئاً، فرجعت إلى الفندق بالسيارة، وأحضرت صديقنا الأستاذ (محمد أحمد أبو فارس)، فترجم لي ما أردته.

وهذه ظاهرة شائعة في البرازيل بل في أمريكا الجنوبية كلها، وهي قلة معرفة أهلها باللغات الأجنبية حتى لا يكون في الفندق إلا واحد أو أثنان ممن يعرفان الإنكليزية، أو أي لغة أخرى غير البرتغالية، أو الإسبانية.

أنهينا إجراءات الترحيل بسرعة وسهولة، شأنهم في ذلك شأن جميع أنحاء البرازيل، فالزيادة في وزن العفش أمر لا يبالون به، وإنجاز العمل هو السائد، وشيء آخر وهو الثقة في الراكب، فلا يجرون تفتيشاً على المسافرين من أجل الأمن، أو حذراً من اختطاف الطائرات، سواء أكان ذلك في حقائبهم الكبيرة أو الصغيرة.

وانتهزت الفرصة للتفرج خارج المطار، فرأيتهم قد غرسوا المساحة التي تلي بناية المطار من جهة الشارع بزهور جميلة.

ورأيت الرمل الأحمر والأبيض يطل على المطار، فصورت ذلك بما ترى بعضه هنا.

أما عن الخروج للطائرة، فإن الخروج هو من جدار زجاجي فيه باب زجاجي أيضاً لديه موظفات من موظفي الشركة يلمحون بطاقات الصعود إلى الطائرة دون أن يمسوها، ليتأكدوا من كون المسافر هو من ركاب هذه الرحلة بالذات دون غيرها.

ولا أحد يفتش الحقائب اليدوية للمسافرين، ولا أجسامهم، وليست هناك أجهزة كهربائية للتفتيش في الرحلات الداخلية مثل رحلتنا هذه.

عبور على ولاية

(الأقواس)

ولاية الأقواس: ولاية صغيرة لا تزيد مساحتها على ٢٧،٧٣١ كيلو متر مربع، أي أنها ضعف مساحة لبنان مرتين ونصفاً، ويناهز عدد سكانها مليونين من النفوس، وتقع بين ولاية برنا مبوكو من جهة الشمال و(سيرجيب) من جهة الجنوب، ولها حدود ضيقة في الجنوب الغربي مع ولاية (بهية).

وعاصمتها: ماسيو.

وكنت حرصت على زيارتها، والتجول فيها لولا أن الوقت لم يسمح بذلك هذه المرة، فكان الخيار أن أمر بها، أو أمر بولاية (برنا مبوكو) فاخترت الأخيرة، لكون ولاية (برنا مبوكو) أكبر وأهم من ولاية (الأقواس).

وينبغي أن يلاحظ أنه رغم كون اسم هذه الولاية يبدو منسجماً مع بعض أوزان الكلمات العربية، فهو يشبه في اللفظ لفظ (الأقواس): جمع قوس، لكن الأمر ليس كذلك، وليس للعربية فيه نصيب.

من سلفادور إلى رصيفي:

قامت الطائرة في الواحدة والدقيقة الثانية والخمسين ظهراً، وليس لمقاعدها أرقام، بل يستطيع من سبق أن يجلس في المكان الذي يشاؤه، وذلك أمر شائع في الرحلات الداخلية في البرازيل التي تمر الطائرة خلالها بعدة مطارات من مطاراتهم، وذلك من أجل عدم ارتباك الترقيم بين مطار وآخر، وربما لم يكن لديهم في المطارات الصغيرة من أجهزة الحاسب

الآلي مثل ما لدينا، لأننا نرقم مقاعد الطائرات، ولو كانت متجهة إلى عدة بلدان، ونسجل أجهزة الحاسب الآلي (الكمبيوتر) في كل مطار تمر به الطائرة، فيعرف منها الموظف المقعد المشغول من غيره.

ولا شك أن عندهم من أجهزة الحاسب الآلي الشيء الكثير، وقد رأيتهم يستعملونها، ولكنني لا أدري مدى اتساع استعمالها وشمولها لكل المطارات الداخلية.

ومع أن المقاعد غير مرقمة فإن الهدوء في الركوب هو السائد، فلا تراكض أو تزاحم على الركوب للظفر بالمقاعد الأمامية، أو التي عند النوافذ مثلاً؛ بل احترام الناس بعضهم لبعض في السير إلى الطائرة والدخول فيها هو السائد.

أما المضيفات وليس بينهن رجل، فإنهن كلهن من البيض المتغيرات، أي ذوات الأصول الأوروبية التي أصابها التغيير بسبب حالة الجو في هذه البلاد، وبينهن واحدة (مولاتا)، أي من المختلطات نتيجة للتزاوج بين الألوان.

والطائرة تابعة لشركة (فاسب) للطيران، وهي شركة داخلية، وهي من طراز بوينغ ٧٣٧، وكلها سياحية، وليس فيها درجة أولى مع أن تذاكرنا على الدرجة الأولى.

وكان الإعلان في الطائرة بالبرتغالية فقط مما جعلنا لا نفهم منه شيئاً، وقد تعودنا على سؤال المضيفين، أو أحد الجيران في المقعد عما نريد معرفته مثل طول المسافة بين البلدان، أو درجة الحرارة التي

يذكرونها بالبرتغالية للبلد الذي تقدم إليه الطائرة.

وتجلت طبيعة المنطقة للنظر من المطار، فكان أهم منظر في ضواحي المدينة هو منظر الرمل الأبيض كأنه الثلج إلى جانب الرمل الأحمر الذي هو في لون الذهب، ثم منظر ضواحٍ شعبية من مدينة سلفادور سيئة المظهر، ونهر يتسع في مواضع حتى تؤلف مياهه عدداً من المستنقعات.

ثم دخلنا في جو الريف ذي التلال الخضر المتطامنة، وارتفعت الطائرة، فارتد البصر إلى داخلها حيث المضيفات يوزعن الضيافة على عجل لقصر المسافة؛ لأن الطائرة سوف تنزل في بلدة صغيرة قبل (رصيفي) الكبيرة، وهي (ماسيو).

وكانت ضيافتهم قليلة، إذ هي صحن من اللدائن فيه ما يشبه الكعك اللين (الكيك)، وقطعة من الشوكولاته، وبعد ذلك (فنجان) القهوة البرازيلية المعتاد.

هل أنا كنغرو؟

حال غيم خفيف دون الأرض، فمنعني من النظر، وكان جاري في المقعد يعرف شيئاً من الإنكليزية، فسألني هل أنت كنغرو؟ يريد أنا من أستراليا التي لا يوجد حيوان الكنغرو إلا فيها.

وكان حديثه بسيطاً، وهو يمثل طائفة كبيرة من الشعب البرازيلي التي يخيل للواحد منا أنهم كلهم بسطاء، بل ربما اجترأ على أن يقول: إن فهمهم للأمور محدود، ولكن الأمر ليس كذلك بالضبط، وإنما هم

استسهلوا الحياة الثقافية المحلية المبسطة، كما تبدو الحياة هنا سهلة في السابق من توفر الطعام والكساء والعمل، وعدم الدخول في مشكلات العالم القديم.

ولا شك في أن هذا قد تغير الآن من حيث سهولة الحياة، وإن كان لم يتغير من حيث البعد عن معرفة المشكلات العالمية، وعدم العمق في فهم الأشياء الخارجية.

ثم تجلى الغيم فكان الجو صاحياً، واتضحت الأرض من تحت الطائرة أرضاً خضراء شاسعة، أكثرها من حقول مزروعة لا يدرك البصر من الطائرة لها مدى، وفيها نهر متسع متشعب في هذه الأرض، فقلت مرة أخرى: سبحان من أعطى أهل البرازيل، هذا الخير الجزيل!

في مطار ماسيو:

بدأت الطائرة التدني فوق هذه الحقول المزدهرة التي بدت أكثر اتساعاً، وبخاصة وجود سهول قليلة التلال وغابات في وديان بينها.

وقد ذكرتني تلك الحقول المتسعة بالحقول الواسعة في الولايات المتحدة الأمريكية.

وأهم ما يميز المنطقة بحيرات وتجمعات مياه متصلة بنهر تبين فيما بعد أنها تفضي إلى البحر، لأن المدينة واقعة على المحيط الأطلسي.

إلا أن المنازل القريبة من المطار لم تكن بهيجة المنظر، ولا توحي بالغنى، وربما كانت هذه هي الأقسام الشعبية منها.

وحتى الشوارع التي رأيناها من الطائرة غير مزفتة.

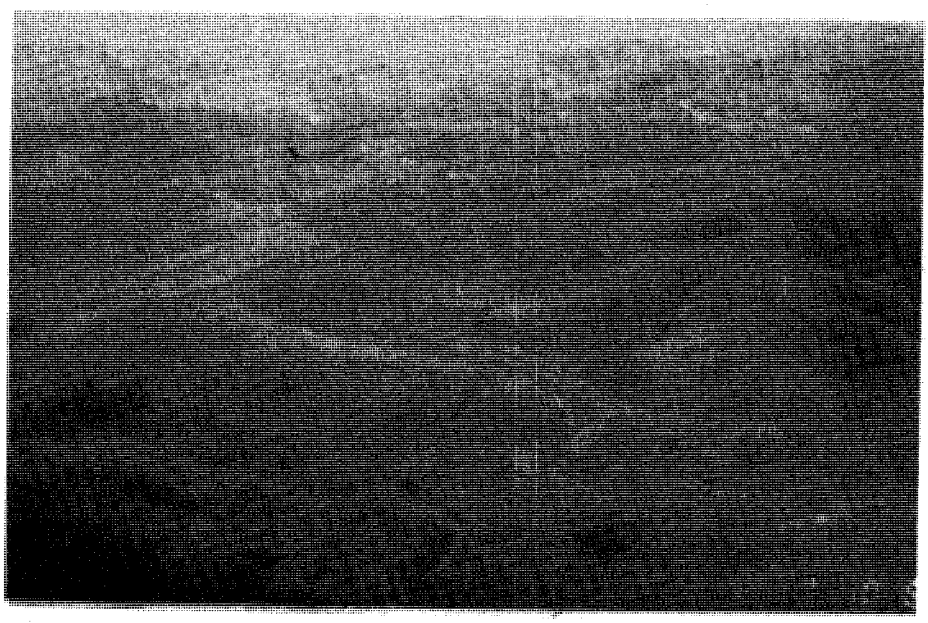

التلال الخضر (من الطائرة) بعد مغادرة بلدة ماسيو في البرازيل

وقد رأيت قرب المدينة أشياء رأيتها قرب مدينة سلفادور، وهي أبنية على التلال تقرب منها بحيرات عدة، ومستنقعات للمياه في الأماكن المنخفضة، وكثرة أشجار النارجيل.

هبطت الطائرة في مطار (ماسيو) في الثانية والأربعين دقيقة من بعد الظهر بعد (٤٨) دقيقة من الطيران بين سلفادور وبينها.

وقد كتبتها (ماسيو) اعتماداً على ما ذكر جاري في الطائرة من أن المدينة التي أعرف أن اسمها (ماسيو) هي منسوبة إلى بحيرة (ماسيا)

التي رأيناها من الطائرة، هكذا قال، وأن كلامهم من مكبر الصوت في الطائرة كله كان بالبرتغالية وحدها، ومدينة (ماسيو) هذه هي عاصمة ولاية الأقواس.

نزلت الطائرة في ميدان جيد الزفلتة، وإن لم يكن كبيراً، فابتدرها عمال كلهم من (المولاتو)، أي المختلطين أو السود، ولم أر بينهم أبيض إلا موظفاً كبيراً أحضر معه أوراق الركاب، وحتى ثياب أولئك العمال تبدو رثة بالنسبة إلى ثياب الموظفين الآخرين.

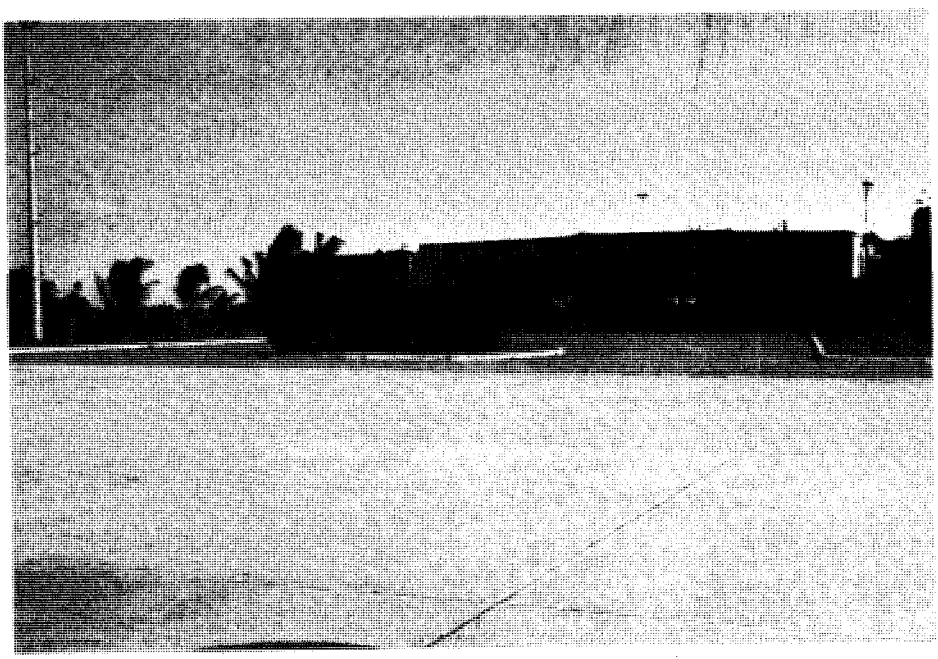

مطار ماسيو

وذكرت بهذه المناسبة بلاد الصين الشعبية؛ حيث يبدو الجميع بثياب نظيفة تكاد تتساوى في مظهرها، وليس فيها ثياب مهلهلة أو قذرة كالتي تكون على بعض أهل الهند، وبخاصة في المناطق الحارة من تلك البلاد الهندية.

وبناية المطار صغيرة رمادية اللون، وقد نزل أكثر الركاب في هذا المطار، وهم من البيض المتغيرين، أو من المختلطين، ولم أر بينهم سوداً.

وبقينا مع الركاب العابرين في الطائرة، فنزلت أتمشى في ساحة المطار حول الطائرة، ومعي المصورة (الكاميرا)، فراق لي منظر، فسألت المضيفة في الطائرة عما إذا كانت القوانين هنا تسمح بتصوير المطار، فأجابت (نو بروبليما)، أي لا مانع من ذلك، والتقطت ما شئت من الصور.

وهذا عجب من تسامح هؤلاء البرازيليين في شئونهم، وإن كان بعض الناس قد يفسر ذلك على أنه ارتخاء في حكم البلاد.

والواقع أن حكم البلاد فيه رخاوة كان من أثرها كثرة حوادث السرقة والانتشال، وإن لم يصل ذلك إلى أن تعرف البرازيل به، ولكنني أخشى أن يستفحل ذلك في المستقبل، فلا تستطيع الحكومة أن تمنعه إلا بإجرآءات صارمة لا يود الشعب بأغلبيته الإقدام عليها.

وفي هذه الأثناء حضر المهندس الذي يكشف على الطائرة كالمعتاد، فظننت في أول الأمر أنه من أهل نجد لشبهه في اللون بقومنا؛

غير أنني قلت في نفسي: أين نحن من نجد وأهل نجد؟

صورة من الجو لمدينة ماسيو في البرازيل

ولاية برنامبوكو

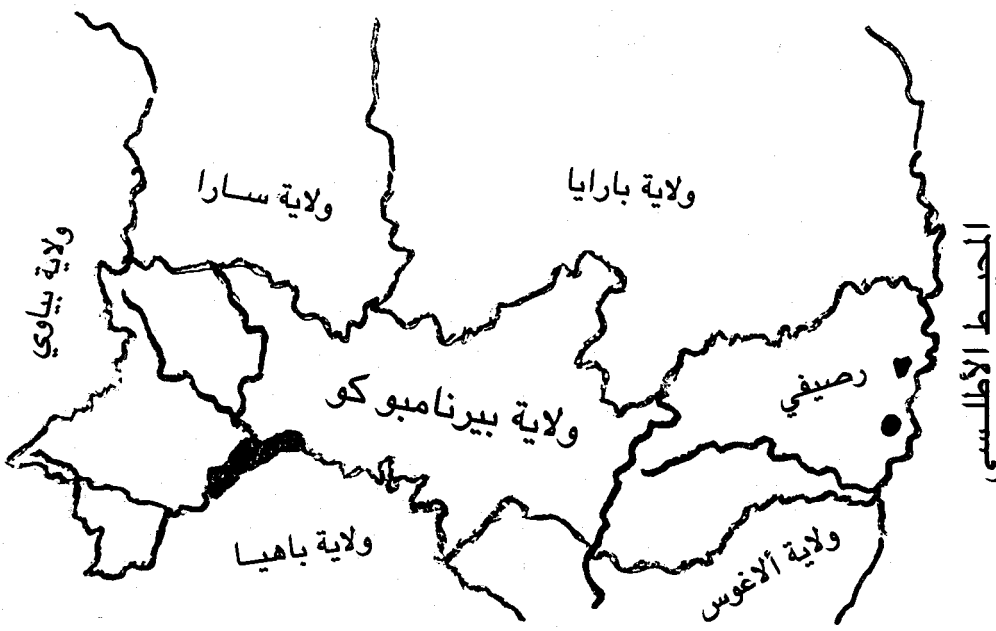

برنامبوكو من الولايات المهمة في البرازيل، فهي من حيث عدد السكان تعتبر ولاية معمورة بالسكان بالنسبة إلى مساحتها ٩٨,٢٩١، كيلو متر مربع، ويبلغ عدد سكانها ٧,٢٠٠,٠٠٠ نسمة تقريباً.

ولكن أهميتها التاريخية في البرازيل تفوق ذلك بكثير، فقد شهدت أحداثاً عظيمة من ثورات وطنية في سبيل الحصول على الحقوق المشروعة، ومن هجمات للغزاة من المستعمرين الذين أرادوا أن ينافسوا البرتغال على حكم أجزاء من البرازيل.

وذلك بحكم كونها قريبة نسبياً من أوروبا إذا نظرنا إلى الأجزاء الجنوبية من البرازيل، وهي بعيدة عن العاصمة (ريودي جانيرو)، إضافة إلى وجود أغلبية بين سكانها من غير البرتغاليين الأنقياء؛ إذ ترجع أصول ٥٥٪ من سكانها إلى السود من العبيد الإفريقيين المحررين وأنسالهم، وحوالي ٣٠٪ من بقايا السكان الأصلاء ممن يسمون بالهنود الأمريكيين، والبقية من ذوي الأصول الأوربية من البيض.

ولكن حصل الامتزاج بينهم حتى تغيرت هذه النسب في الوقت الحاضر، فصار الناظر إلى سكانها يجد أن الخلاسيين، وهم ذوو اللون المختلط ما بين البيض والسود، والمختلطين ما بين السود والهنود هم الأغلب على سكانها.

وعاصمتها (رصيفي)، وهي محطة للمواصلات البحرية والجوية في شرق البرازيل.

وقد احتل الهولنديون رصيفي، وبقوا فيها فترة طويلة بمثابة الحكام ثم التجار، بينما بقيت جارتها القريبة التي التحقت بها في العمران أو كادت (أولیندا) مع البرتغاليين.

واسمها (برنامبوكو): اسم هندي قديم أي سماها به السكان الأصلاء الذين كانوا موجودين في المنطقة قبل وصول المكتشفين البرتغاليين ومن معهم من الأوروبيين، ولم أجد من يعرف معناه الآن، وإنما كانوا يقولون لي: إنه من لغة قديمة انقرضت من لغات الهنود، فذكرت بذلك قولاً لأحد علماء اللغة العربية القدامى عندما لم يعرف كلمة من الكلمات: هذه من قديم اللغة التي لا تعرف الآن، وقد ذهب من يحسن تفسيرها.

ولن نذكر الثورات والقلاقل التي حدثت في ولاية (برنامبوكو)، فربما لا يهم القارئ الكريم ذلك؛ إلا حادثة ورد فيها ذكر لطائفة من العرب، وهم (المسقطيون) نسبة إلى مدينة (مسقط) عاصمة عمان، وإن كان المراد بذلك غيرهم، فلم يكن للعمانيين، ولا للعرب الآخرين أي يد في أحداث (الثورة ضد المسقطيين) وإنما ذلك لكون البرتغاليين الذين قامت ضدهم الاضطرابات المشار إليها بالثورة على المسقطيين جاء قسم منهم من عمان إلى البرازيل، واشتغلوا بالتجارة مثلما كان العرب يعملون تجاراً، فعرفوا بالمسقطيين.

ونسوق ذكر تلك الثورة أو الاضطراب ملخصاً من قلم أحد الكتاب العرب، وهو صاحب: ((المجد الأثيل في تاريخ البرازيل))، قال:

((وسبب الثورة المعروفة بثورة المسكات، أي ((المسقطيين)) هو أن

البرازيليين أصحاب المعامل والقاطنين في أوليندا العاصمة كانوا يشعرون بضعف منزلتهم الاجتماعية، ولم يقتنعوا بدوام سيادة البرتغاليين في الإدارة العامة، والسياسة، والتجارة حتى وفي منازل سكنهم؛ إذ كانوا كلهم قاطنين في رصيفي، فلقبهم البرازيليون بالمسكات، أي المسقطيين؛ نسبة إلى مسقط المدينة العربية التي حكمها البرتغال مدة وكان أهلها تجاراً.

ونظراً لكون عدد البرازيليين أصبح ينوف كثيراً على البرتغاليين فأبعدوا بالتصويت البرتغاليين عن مناصب البلدية، فاستاء المسقطيون، أي البرتغاليون، والتمسوا من المسئولين البرتغاليين في العاصمة لشبونة رفع رصيفي التي لم تكن تعرف رسمياً إلا باسم ميناء رصيفي إلى درجة مدينة، فتحقق ذلك بقرار من البلاط الملكي صادر عام ١٧١٠م.

وكان تجار رصيفي يضغطون على الفلاحين ومنتجي الفواكه وقصب السكر والحبوب، ويماطلون بالدفع، فأوجدوا بذلك بغضاً وكراهية لهم في كل المنطقة.

وفور صدور القرار برفع رصيفي إلى مصاف المدن، أسرع الكبتون جنرال كسترو كلدس لرسم حدود البلدية الجديدة، وضمنها بعض القرى المجاورة، وعاد إلى رصيفي، ونصب في ساحتها شعار السلطة والعدالة، فثار على ذلك البرازيليون، وقدم إلى رصيفي رئيس بلدية أولندا، وبمعيته عدد من وجهاء البرازيليين، واحتجوا على نصب الشعار في هذه المدينة، فأمر الحاكم بالقبض على رئيس بلدية أولندا والخطباء، فهاج أعيان البرازيليين وعامة الشعب.

وفي ثاني يوم أطلق بعضهم عيارات نارية على الحاكم، فأصيب بجراحات طفيفة، وأمر بالحال بالقبض على عدد كبير من الشخصيات معلناً أنهم من المشتبه بهم.

وعلى الأثر حدث نفور بين الحاكم وبين مطران أولندا الذي كان يتجول في رعيته خارج المدينة برفقة ضابط العدل، فأرسل الحاكم عدداً من العساكر للقبض عليه، فرفض المطران تسليم ضابط العدل، وكان مسلحاً فهجم على عساكر الحاكم ودحرهم.

وهكذا كان بدء الثورة، وتداعى البرازيليون إلى الحرب، واجتمع ما يزيد على العشرين ألف رجل، وحاصروا رصيفي.

وأمام هذه الحالة وجد الحاكم نفسه عاجزاً عن المقاومة، فقدم شروطاً للصلح رفضها الثوار الذين طالبوا برأسه، فخاف الحاكم من العاقبة، وهرب إلى ولاية بهية، مع جمهور من أغنياء البرتغاليين، فدخل البرازيليون مدينة رصيفي، وقلعوا الشعار المنصوب في الساحة.

وفي اجتماع عام احتشد الثوار لتقرير المصير، فقدم بعضهم مشروع إعلان الجمهورية، ولكن الأكثرية آثرت إنشاء حكومة مؤقتة مؤلفة من ستة أعضاء كلهم برازيليون، فإذا رفضها ملك البرتغال عندئذٍ يصير إعلان الجمهورية، وسلم الثوار دفة الحكم للمطران (دون مانوال الفرس دا قسطا) فقبل.

ثم جاء إلى رصيفي أحد القصابين الفظيعين، وهو بر نردو فيارا دي ملُو الذي ذبح ألوفاً من الزنوج في بلمارس، وفي الحال باشر ببذر

القلاقل على رأس فرقة من أهل النفاق والشقاق الذين انقضوا على بعض العساكر الذين ردوهم على أعقابهم.

وشبت الحرب الأهلية محتدمة النيران ما بين البرازيليين والبرتغاليين، وأخيراً وصل رصيفي أسطول يحمل الحاكم الجديد أنطونيو فالس جوزه مشادو دي مندنسا، فاستقبله أعضاء الفئتين بالتهليل، وعادت المياه إلى مجاريها.

ولا بد من التصريح في هذا الصدد بأن لا علاقة قط للعرب: سوريين كانوا، أو لبنانيين، في ثورة المسكات في برنامبوكو، وما اسم ثورة المسقطيين كما ذكرنا إلا لأن البرتغاليين حكموا مسقط مدينة الخليج العربي، وكان معظم سكانها تجاراً، ولهذا السبب لقب البرازيليون فيما بعد هذه الثورة بمائة وستين سنة اللبنانيين والسوريين العاملين في التجارة بالمسكات، أعني أن كلمة مسكات أو مسقطي كانت موجودة في البرازيل قبل قدوم العرب إليها، إذن لا صحة لمن نسب إلى سوريين ولبنانيين تلك الثورة التي حدثت قبل قدوم المهاجرين إلى البرازيل.

والصواب هي الثورة ضد المسقطيين، لا ثورة المسقطيين، ومن المعلوم أيضاً أن اللبنانيين والسوريين ما تداخلوا قط في السياسة البرازيلية)).

(جميل صفدي، البن والمسقطي (البائع بالسوق) الصفحة ١١٣- الفصل الثاني عشر، أصل المسقاط ((أو صنعة البيع بالسوق)):

«كانت مسقط المتمتعة بمركزها الجغرافي كمستودع تجاري ما بين الموانئ العربية والخليج الفارسي والهند، وهذا الموقع الممتازة به مسقط منذ قرون عديدة جعلها ذات أهمية أكبر منذ القرن العاشر بسبب التوسع الاقتصادي الإيراني، واشتهر تجار مسقط (مسقطي ومسقطيون) في تجولهم وتبادلهم التجاري لا سيما مع الهند.

«وقبل اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح كانت المفاوضات التجارية جارية بواسطة البحر الأحمر، وبلاد عمان كانت القاعدة الإجبارية لزوماً للمحطات البحرية.

وبتطور الملاحة البرتغالية والهولندية بواسطة معبر الرجاء الصالح في القرن العاشر حدث التوسع التجاري بين القارات، وازدادت المبادلات ما بين أوروبا والهند، ومن جراء ذلك اكتسبت عمان مركزاً ممتازاً، [ذا] أهمية حربية واقتصادية، فجرّ هذا التزاحم وقائع حربية شملت البرتغاليين والهولنديين والفرس، وعادت هذه العداوة بفوائد كبرى على البرتغاليين الذين ما زالوا يفتحون أسواقاً جديدة، وتجارة أهالي مسقط، المسقطيين، والمفرد مسقطي (الياء حرف إضافة للنسبة)، واتخذ البرتغاليون كلمة مسقطي بمعنى تاجر، وبتتابع الزمن تأخرت الحركة إلى المقطع ما قبلها بحسب طبيعة اللغة البرتغالية، فأصبحت الكلمة (مسقاطي)».

انتهى كلامه.

من ماسيو إلى رصيفي:

نهضت الطائرة من مطار (ماسيو) في الثالثة من بعد الظهر قاصدة مدينة (رصيفي) عاصمة ولاية (برنامبوكو)، وهي من المدن الكبيرة في شرق البرازيل.

وعندما ارتفعت رأى جاري اهتمامي بالمناظر تحتها، فأبديت له إعجابي بخضرة الحقول، فقال: هي (أهُزّ)، وهي الرز. والسكر هكذا ينطقون به (السكر)، كما ننطق به في الفصحى، وتباكو يريد به (الطباق)، وهي أوراق الدخان (كوكو)، أي كاكاو، وقال لي، وكان عرف أنني عربي: لكن ليس هنا (بترول).

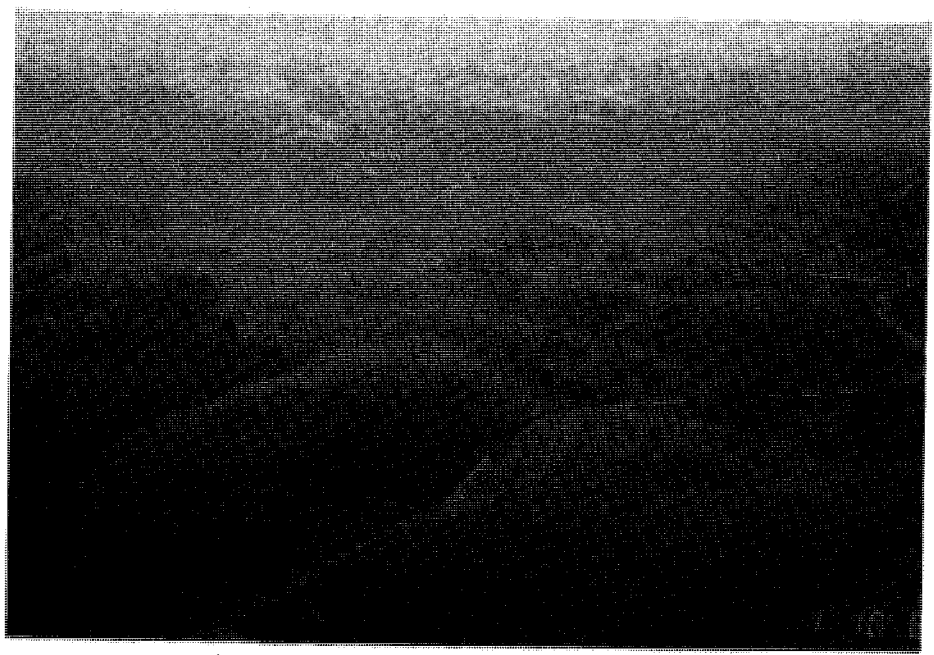

التلال الخضر من الطائرة بعد مغادرة مدينة ماسيو

ثم تجاوزت الطائرة ذلك إلى منطقة جبلية غير مسكونة، ولكنها مجللة بالغابات الملتفة، وفي تلالها زراعة، قال صاحبي: إنها من الأناناس، وكذا مما لم أفهمه منه.

وقد رآني أكتب أشياء، فسألني عنها، فقلت: من أجل أصدقائي حتى يشاركوني الإعجاب ببلادكم.

في مطار رصيفي:

بدأت الطائرة التدني بسرعة لقرب المسافة، فظهرت المدينة واسعة ممتدة ذات وسط جيد من الأبنية العالية ذات الطوابق المتعددة (العمارات)، وضواح بعضها رديء المظهر، وتقع المدينة على ساحل البحر المحيط، وهي أقل تلالاً من سلفادور إذ وسطها متسع.

ورأيت في ضاحية من ضواحيها عجباً، وهي مجموعة من (العمارات) الضخمة ذات ألوان من الطلاء مختلفة، فمجموعة منها لونها أزرق، وأخرى أحمر، وثالثة أصفر، وكل مجموعة تتألف من عشرين (عمارة) إلى ثلاثين، مما جعلها تؤلف على البعد من الطائرة لوحة جميلة.

ثم بدا قلب المدينة فخماً ضخماً يدل على رواج اقتصادي سابق.

ووصلت إلى مطار (رصيفي) في الثالثة والدقيقة الخامسة والعشرين، فلم تزد مدة الطيران من (ماسيو) إلى رصيفي عن ٢٥ دقيقة.

لم نمر بإجراءات معقدة في المطار، فالرحلة داخلية، والقوم في البرازيل يسهلون المعقد؛ فضلاً عن المبسط في الأصل، فالقادمون من الرحلات الخارجية لا يفتش إلا قسم منهم، وذلك حسبما رأيتهم بنفسي.

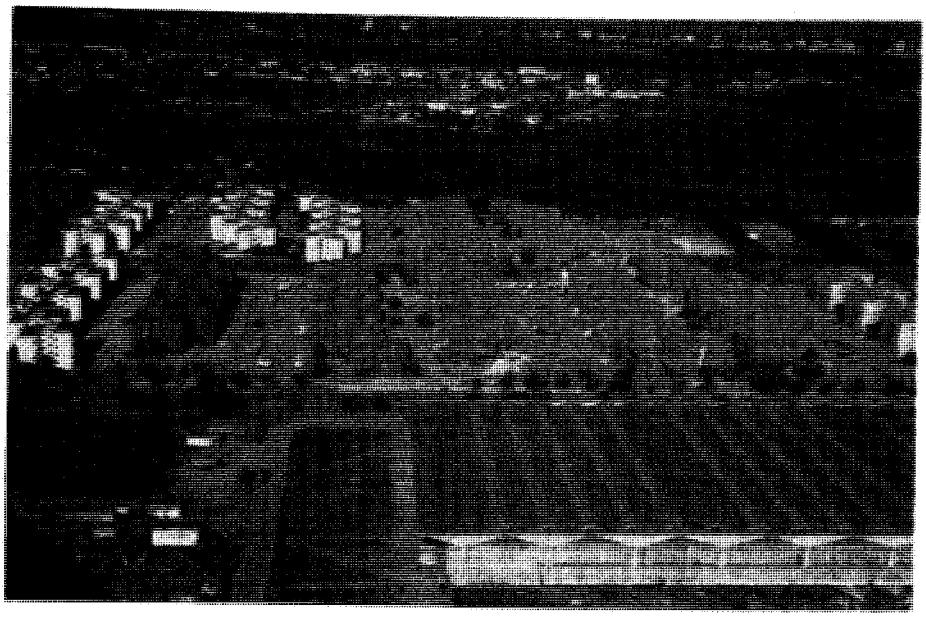

التقطتها من الجو للعمارات الملونة في مدينة رصيفي ويرى ظل الطائرة في أسفل الصورة

حجزنا في فندق قديم من مكتب للفنادق في المطار قال صاحبه: إن الفندق قريب وقديم، وهو قريب من شاطئ البحر، وركبنا سيارة أجرة إليه بثلاثة وخمسين ألف كروزيرو، أي نحو خمسة دولارات ونصف.

ويقع الفندق في حي قريب من المطار اسمه (بوفياج)، وهو فندق قديم الطراز جداً، يشبه الطراز الأندلسي العربي، ومؤلف من أربع طبقات، وتعلوه شرفة أشبه برأس الصومعة، وهي المنارة المغربية، إلا أنه واسع الغرف، وقد حافظوا على قدمه، وزادوا من مظهره حتى يكتسب صبغة متميزة، ومن ذلك أن الغرف فيها حلق تطرق كالتي كانت

موجودة في الأبواب الخارجية للدور في بلادنا في القديم، وحتى الخزائن لها حلقات حديد كحلقات الأبواب، وكلها مطلي باللون الأسود والبني حتى تعطي المظهر القديم.

وفي كل غرفة جهاز للاستقبال الإذاعي كبير قديم ذو صندوق خشبي، نسينا رؤيته في بلادنا منذ سنوات.

وواجهة الفندق من الزجاج الملون، وكذلك بعض النوافذ فيه، ولم يعجبنا ذلك، فنحن لم نجيء هنا لنبحث عن القديم، وإنما جئنا للبحث عن الجديد في هذا العالم الجديد، واسمه (هوتيل كازاندا قراندي ستزالا).

مدينة (رصيفي):

آثرت كتابة اسمها بالصاد بديلة من السين التي يكتبونها بها، لأن الكلمة عربية أصيلة تعني الميناء، وهو في الأصل الرصيف على ساحل البحر يجعل مرفأ للسفن.

وقد نقل البرتغاليون هذه الكلمة من العربية فيما نقلوه من الكلمات والتعبيرات، ونطق أهل البرازيل بها في الوقت الحاضر (رسيفِ) بسين وكسرة تحت الفاء لا تصل إلى أن تكون ياءً، ولكنني آثرت كتابتها بالياء، لئلا يظن أن الفاء ساكنة كما هي العادة في أكثر الكلمات في هذه اللغة.

لم أطق صبراً على البقاء في الفندق، فخرجت دون صاحبي الشيخ عبد العزيز المسند أتمشى فيما حول الفندق، وأستجلي مناظر هذه

المدينة الغريبة على سمعي وبصري.

فكان أول ما صدم نظري طائفة من ذوي الألوان الكدرة، والوجوه الحائلة المتغيرة، وكأنما كان الجمال الذي يكحل العيون في جنوب البرازيل؛ بل في وسط البرازيل، قد استحال في بعض الوجوه هنا إلى لون الرماد.

وقد كثر منظر الذين اختلطوا جيلاً بعد جيل بحيث انعدمت في وجوههم الخطوط والخيوط التي تدل على أصول قريبة لأجناس مختلفة، وهو الأمر الذي يوجد ظاهراً في أكثر مدن البرازيل الوسطى والشمالية، وذلك مثل عدة أحياء في (ريودي جانيرو) مثل أن ترى شخصاً ذا شعر ذهبي، ولكنه ذو لون داكن، وأنف قصير، وشفتين ممتلئتين، وربما تكونان بارزتين.

وقد ترى عكس ذلك شخصاً ذا شعر أسود، وبشرة سمراء؛ بل رمادية، ولكن تقاسيم وجهه هي تقاسيم وجوه البيض، وليس فيها من ملامح السود شيء، فتعرف أن الشخصين قد انحدرا من جنسين مختلفين في الصفات.

أما هنا فإن الأمر اختلط، لأن الاختلاط قد حصل فيما يظهر بين أكثر من جيلين، ومن أكثر من جنسين.

والسائح مثلي قد يلاحظ لأول مرة يدخل فيها البلاد أشياء قد لا يلاحظها السكان المقيمون فيها في الغالب.

ولاحظت هنا أننا بعدنا بالفعل عن الوجوه النضرة، والخدود

الوردية، والشعور الناعمة المنسابة، وإن كان ذلك لا يشمل كل الناس، ولكن يشمل جلّهم.

وهو من الفروق ما بين الشمال والجنوب في البرازيل التي يعجب لها من يكون مثلنا قد عاش حياته في شمال الأرض حيث يكون في ذهنه أن التقدم والمال، بل والمظاهر موجودة في الشمال أكثر من الجنوب، فهنا في البرازيل الأمر بالعكس، فالجنوب أغنى وأرقى بأهله من الشمال، وأهله أجمل من أهل الشمال، والأمر في ذلك ظاهر، وهو في القرب من خط الاستواء والبعد منه، فشمال البرازيل هو المنطقة الاستوائية، وجنوب البرازيل هو المنطقة المعتدلة التي يشبه جوها جو البحر الأبيض المتوسط في بعض الأحوال.

المؤلف في محطة للحافلات على شارع الشاطئ في رصيفي

وتمشيت على شارع جيد طويل من شاطئ البحر، وقد امتدت عليه مما يلي اليابسة الأبنية العالية الفاخرة، وغرسوا عليه مما يلي رصيف البحر أشجار النارجيل، وتحتها انتشر طائفة من باعة النارجيل الأخضر، ليس عندهم غيره، يفلقون رأس جوزة الهند الخضراء، وهي ثمرة النارجيل، ثم يشربها المشتري ماء صافياً بارداً لا تشوبه شائبة.

وفي المساء؟

وفي المساء كانت لي تمشية، بل طواف على عدة مقاه ومشارب على هذا الشاطئ، وذلك من أجل الاطلاع عليها وعلى روادها، فرأيت في أحدها ما رأيته في بعض المشارب والمقاصف في مدن برازيلية عدة من التي يقصدها السياح، وهي طوائف من اللاتي ينظرن بعيونهن شزراً، ويكدن يوضحن بحواجبهن أمراً، وعلى بعضهن مظاهر العراقة في هذه الصناعة، ولذلك كسدت لديهن البضاعة، وبعضهن لا تنكر من أمرها شيئاً إلا وجودها في هذا المكان الذي فيه منكرات ويعتبر - عندنا - أمراً فرياً.

ومع ذلك فإن هذه طبيعة عجيبة في البرازيل أن يختلط فيها الحابل بالنابل، فترى المقاهي والمقاصف التي ترتادها بائعات الهوى الحرام مزدحمة بأناس ليسوا من أهل هذا الشأن، بل تجد الأسر قد حضرت لشرب شيء، أو أكل خفيف، ولا تجد حرجاً في أن تكون بجانب من لا تشاركهم في الهدف أو الوسيلة.

وسبب ذلك أن المنكر صار عندهم معروفاً حتى لا يكاد يذكر،

والتبرج يعتبرونه نوعاً من التفرج، مع أن أقصى ما يكون - إذا كان - لا يعتبر مما تتبعه العيون، فضلاً عن أن تتقاذفه الظنون.

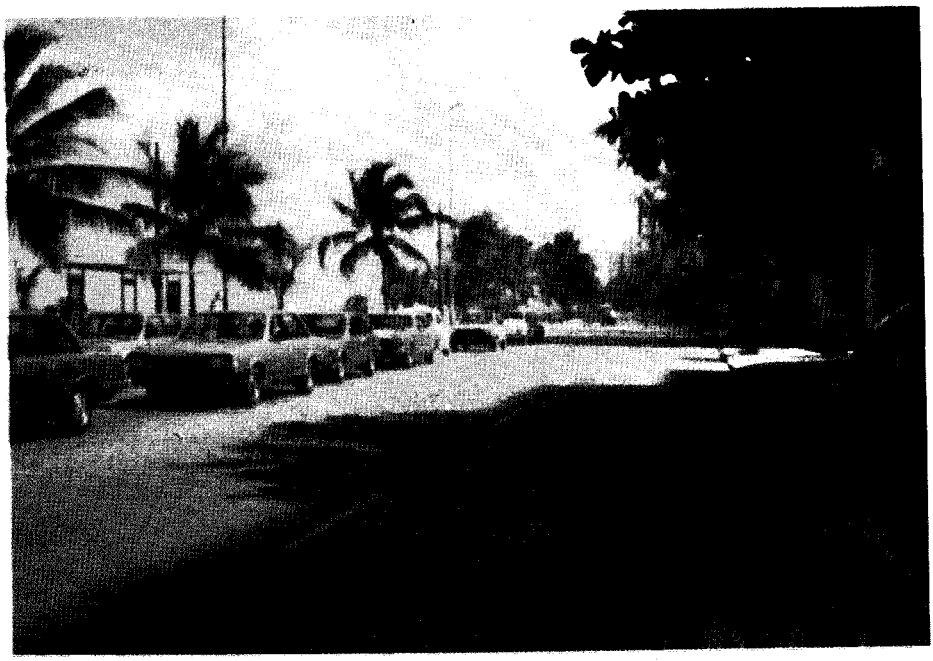

شارع على الشاطئ في رصيفي

يوم الخميس: ١٩ /١/ ١٤٠٦هـ

جولة في رصيفي:

كنا حجزنا أمس لجولة على مدينة رصيفي وجارتها القديمة (أولندا)، وقد أعطتنا الشركة نشرة بالإنكليزية تضمنت معلومات هامة مفيدة عن (رصيفي) و(أولندا) رأيت أن أنقل ترجمتها هنا للفائدة قبل البدء بالجولة، قالت النشرة:

رصـــــيفي

أُنشـــــــنت: عام ١٥٣٧م

عـــدد الســـكان: ١٢٥٠٠٠٠ نسمة

المســـــــاحة: ٢,٩ كيلو متر مربع

الطـــــــقس: مداري (استوائي) حار رطب

درجـــات الحـــرارة: ٢٣° - ٢٨° مئوية.

خـــط العـــرض: ٢"٥ ١٠َ ٨°

خـــط الطـــول: ٤٧" ٤َ٥ ٣٤°

يزعم عدد من المؤرخين أن رصيفي قد أُنشئت قبل أوليندا بسبب المزايا التي يتمتع بها ميناء رصيفي الطبيعي.

ولكن، ولأنه لم توجد أية وثائق تؤكد هذا الاحتمال المنطقي، فقد جرى اعتماد نفس تاريخ النشأة للمدينتين وهو عام ١٥٣٧م.

وقد ازدهرت رصيفي ونمت أكثر تحت حكم الأمير الهولندي موريسيو دي ناساد الذي جلب معه في القرن السابع عشر عهداً جديداً من الفنون والآداب والمدنية.

وقد استمر الاستعمار الهولندي للمنطقة الشمالية الشرقية مدة ٢٤ عاماً.

وسُمِّيَت رصيفي رسمياً بـ ((فيلا)) ((Vila)) في عام ١٧١١م.

وسُمِّيَت ((مدينة)) عام ١٨٢٣م، كما اعتبرت عاصمة عام ١٨٢٧م

على الرغم من أنه لم تكن لها صلاحيات سياسية حتى عام ١٨٢٩م.

وكانت أول منطقة سكنية فيها هي منطقة الميناء، ثم انتشر العمران إلى المنطقة الثانية، وهي بون فيستا "Bon Vista"، ثم إلى الثالثة وهي سانتو انتونيو "Santo Antonio".

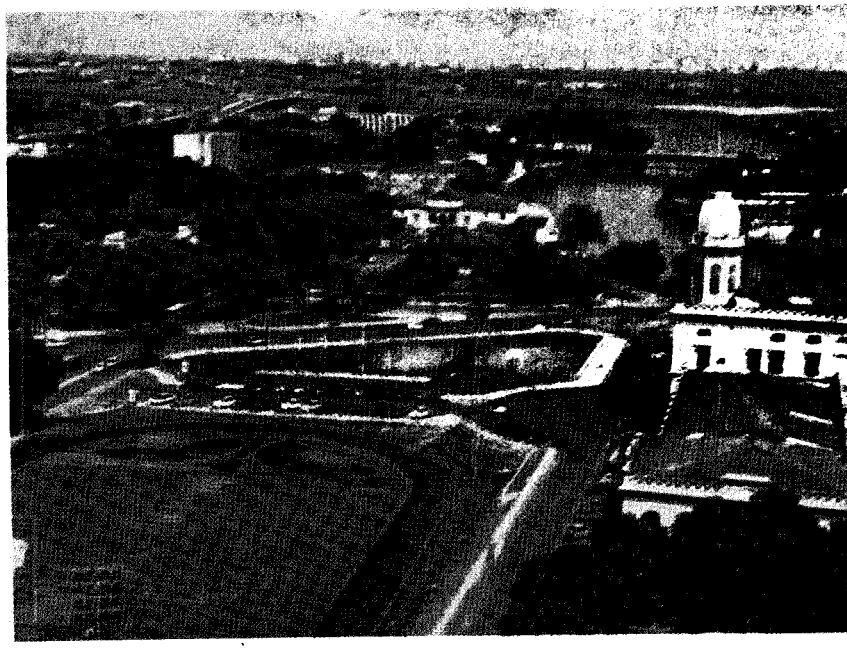

منظر جانبي لميدان سباق الخيل

وكانت رصيفي في البداية مجموعة من المستنقعات والجزر التي ربط بينها الأمير مور يسيو دي ناساو بواسطة قنوات جعلتها قابلة للسكنى.

وكلمة رصيف ذات أصل عربي، وتعني "الجدار الحصين"، "Fortified Wall"، وذلك لوجود الأرصفة أي المنحدرات الصخرية الطبيعية على طول سواحلها.

وحتى القرنين السادس عشر والسابع عشر كان عرض تلك المنحدرات الصخرية حوالي ٦٠متراً، ثم جاء البرتغاليون وبدأوا بتهديمها لبناء الكنائس، ولكن المنحدرات لم تنته بالكامل، لأن الحاكم العام في ذلك الحين أصدر قراراً يُحرِّم فيه ذلك.

وتعتبر رصيفي المدينة البرازيلية التي سُميت بأكبر عدد من الأسماء أكثر من أية مدينة أخرى:

اسم المدينة	المعنى
يوفو	الناس
ريومورتو	النهرالميت
إلهاجوس نافيوس	جزيرة السفينة
إلهادى أنتونيوفاس	جزيرة أنتونيوفاس
إلها دى بلكسيور الفيس	جزيرة ربلكسيور الفيس
بورتو دوس نافيوس	ميناء السفينة
بولفو دوس الرصيف	رصيف الأخطبوط
مورتيستادت	اسم هولندى
مورتيستابوليس	مدينة صوريشيو
يونتو دوس الرصيف	رأس الرصيف
ريبيرا مارينها دوس الرصيف	مرفأ الرصيف البحرى
ستار مورشيا	اسم هولندى
بورتو دى بيرنا مباكو	ميناء بيرنا مباكو
سانتو أنتونيو دى رصيف	رصيف القديس أنتونى
يارانا مباكو	كلمة هندية
فينيزا براز يليورا	مدينة البندقية البرازيلية
نوفا امستردام	امستردام الجديدة
الرصيف دى سان مايكل	رصيف القديس ميكائيل
موريشيا	مدينة موريشيا
وأخيراً رصيفى	الرصيف

وفي الوقت الحاضر تعتبر المنطقة الجنوبية هي أكثر المناطق روعة؛

حيث يوجد بها حي شاطئ بون فياجيم، الذي يعني الرحلة الطيبة، والذي تقع حوله مساكن الطبقة الغنية، وقد بدأ الحي في القرن الثامن عشر كقرية صغيرة يتوقف عندها المسافرون جنوباً طلباً للمبيت.

وفي عام ١٧٠٧م تبرع زوجان برتغاليان بقطعة من الأرض للكنيسة الكاثوليكية لبناء كنيسة عليها.

وحتى الخمسينات من هذا القرن كانت المنطقة مجرد منتجع صيفي، ومنذ ذلك الحين تطورت لتصبح منطقة سكنية تتمتع بجميع التسهيلات والخدمات التجارية.

قصر الحاكم:

لقد بُني على أنقاض قصر آخر حيث عاش الأمير الهولندي موريسيو دي ناساو، وكان اسم القصر قصر البرج "Tower's Mansio"، أما الآن فإن اسمه الرسمي هو برنسيس فيلد بالاس.

ورغم أن القصر قد بني أساساً على الطراز الكلاسيكي الحديث إلا أنه يحمل الآن طابعاً مستمداً من عناصر معمارية عدة.

قلعة الخمس زوايا:

كان المنزل الذي بني عام ١٨٥٥م في الأصل سجناً، وبناؤه يتبع الطراز الـ"Roly Optical" مما يعني أنه يعطي منظراً شاملاً من كل جهة.

واليوم أصبح المركز واحداً من أفضل مراكز الأشغال اليدوية

تنظيماً وأكبرها، ويقدم بالإضافة إلى ذلك معارض ثقافية عن المدينة.

الكنيسة الذهبية:

بُنيت هذه الكنيسة في القرن الثامن عشر، وتعتبر أفضل مثال على الفن الديني في برنا مباكو، وكان اسمها الأصلي هو "Franciscan Brd Order Chape"، وتقع قرب دير القديس أنتوني فرانسيسكان.

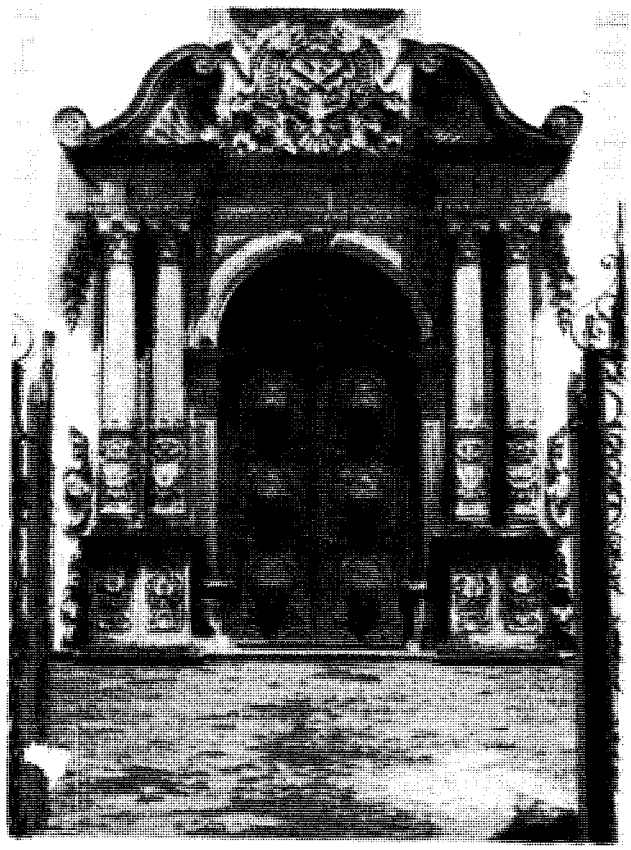

باب إحدى الكنائس القديمة في رصيفي

بدء الجولة في مدينة رصيفي:

انتقلنا هذا الصباح من فندقنا القديم الصغير إلى فندق حديث كبير واقع على شاطئ البحر، ونزلنا في غرف تطل على البحر في الطابق الخامس منه؛ بحيث ترى وأنت في غرفتك مساحات شاسعة من البحر إلى جانب الشاطئ الذي يكاد يكون بين يديك، فترى وأنت في الغرفة ما تراه وأنت في مقصف غالٍ في إحدى المدن الغالية، واسمه (أوتيل بوفياج) على اسم محلة بوفياج التي يقع فيها، وبعضهم ينطق بها فياجن -بنون بعد الجيم-.

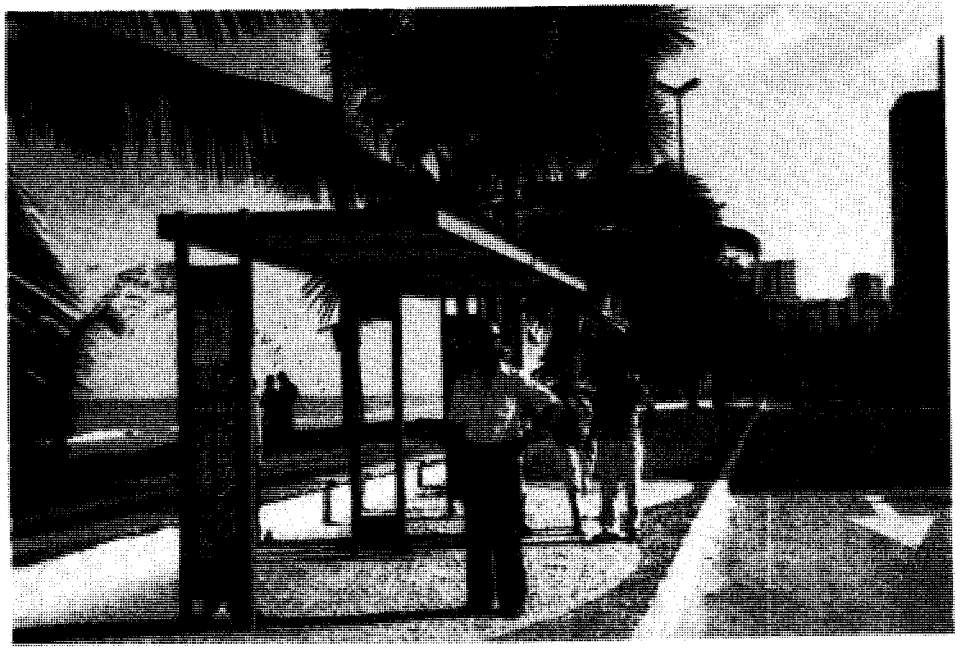

صورة التقطتها من شرفة غرفتي في فندق بوفياج في رصيفي

وكنت حجزت أمس فيه غرفتين وبثمن لا يبعد كثيراً عن أجرة

فندقنا السابق الذي كانت الأجرة فيه ٢٣ دولاراً للغرفة الواحدة للشخص الواحد.

وحجزنا في صباح هذا اليوم تذكرتين مع جولة سياحية تبدأ في الثانية من بعد الظهر وتنتهي في السادسة.

وأجرتها ٤٥ ألف كروزيرو للشخص الواحد، ويعادل ذلك أربعة دولارات ونصفاً تقريباً.

بدأت بالفعل قبل الثانية بدقائق؛ حيث أخذنا موظف سياحي مختلط الحسب والنسب، والمراد بالحسب هنا: اللون إن صح التعبير، فركبنا في حافلة كبيرة فيها بعض السياح.

ومررنا بعدة فنادق في المدينة، كان يلتقط منها السياح حتى كادت الحافلة تمتلئ بهم.

وكان من أهمها فنادق على البحر رأيت فيها نساء على الشاطئ في لباس فاضح كلباس النساء على شاطئ ريودي جانيرو، فتيقنت أن أكثر مدن البرازيل هي في حقيقتها الداخلية (ريودي جانيرو) رغم اختلاف المظاهر ما بينها وبين مدينة (ريو).

والغريب أن الشاطئ في هذه المدينة على امتداده هو رملي جيد للتشمس بعد السباحة كما هو الحال عليه في بعض شواطئ ريودي جانيرو التي فيها شواطئ متعددة.

وكانت الحافلة قد انطلقت جهة الشمال من فندقنا حيث شاطئ البحر إلى اليمين، وهي جهة الشرق، وتقع الأبنية الضخمة الممتدة مع

امتداد شارع الشاطئ إلى مسافات بعيدة.

وهي أبنية فاخرة إلا أنها غير متلاصقة، وبينها أكواخ كالإفريقية مقامة من الأخشاب هي بقايا محلات قديمة كانت مساكن للفقراء قبل أن تزحف المباني الفاخرة عليها، وتصبح المنطقة حياً حديثا للأغنياء ومتوسطي الدخل.

وهناك مظلات من القش لا تزال منتشرة في المنطقة على شارع الشاطئ هي التي يباع فيها ثمار النارجيل الأخضر التي يشرب الناس ماءها.

وشاطئ البحر على امتداده هو دون جمال شاطئ ريودي جانيرو، وأحسن من شواطئ سلفادور، وكذلك الشارع الذي يماشيه، والأرصفة حوله.

العرب والعربية في الجولة:

تكلم السائق بثلاث لغات من اللغات التي يحسنها السياح معه هي البرتغالية والإسبانية والإنكليزية.

ولم تكن العربية بينها، ولكنها حضرت بمناسبة أخرى، وذلك أنه في أول انطلاقه في الجولة تكلم على مدينة (رصيفي) نفسها، فقال: إن اسمها عربي من كلمة رصيفي بمعنى الحاجز الصخري على البحر في اللغة العربية، وقد أخذها البرتغاليون من بين ما أخذوه من اللغة العربية أيام حكم العرب للبرتغال، مثلها في ذلك مثل كلمات عربية عديدة بقيت حتى الآن في اللغة البرتغالية التي نتكلم بها هنا في البرازيل.

وقال: إن العرب أثروا في البرتغاليين ليس في اللغة وحدها، وإنما حتى في طراز البناء، وفي الثقافة العامة، وكانوا أرقى من البرتغاليين في ذلك الحين، لذلك تعلم منهم البرتغاليون أشياء كثيرة نافعة.

ولفت أنظار الركاب بعد ذلك إلى أكوام من الحجارة الكبيرة على جزء من شاطئ البحر الذي كنا نمر به، وقال: لقد وضعت هذه الأحجار هنا لتصد الأمواج التي تحدثها الزوابع البحرية في بعض الأحيان حين تهب على هذا الشاطئ.

ولم أشأ أن أقول له ما أعتقده من كون رصيفي مأخوذة من الرصيف الذي ترسو عليه السفن في شاطئ البحر، ومعنى ذلك هو ميناء لا حاجز صخري.

ومررنا بلسان عريض أو خور صغير من مياه البحر داخل في الأرض كما كان أسلافنا العرب يسمونه، وخاصة في الأندلس، وقد أخذ المحدثون منا يسمونه خليجاً، وهي تسمية صحيحة أيضاً، إلا أن الأولى كانت مستعملة أكثر في كتب الثقافة العربية القديمة، وفوقه جسر عريض.

شاطئ كابنكا:

وربما لا يهمك أيها القارئ الكريم اسم هذا الشاطئ، وسواء أكان (كابنكا)، أو (كوبا كا بانا)، الذي هو أكثر شواطئ ريودي جانيرو شهرة، وربما كان هؤلاء الرصيفيون - سكان مدينة رصيفي؛ إن لم نسمهم الأرصفاء، على صيغة جمع التكسير - قد تمسكوا بهذا

الاسم لهذا الشاطئ ليحاكوا بذلك شاطئ كوبا كا بانا في مدينة ريو دي جانيرو.

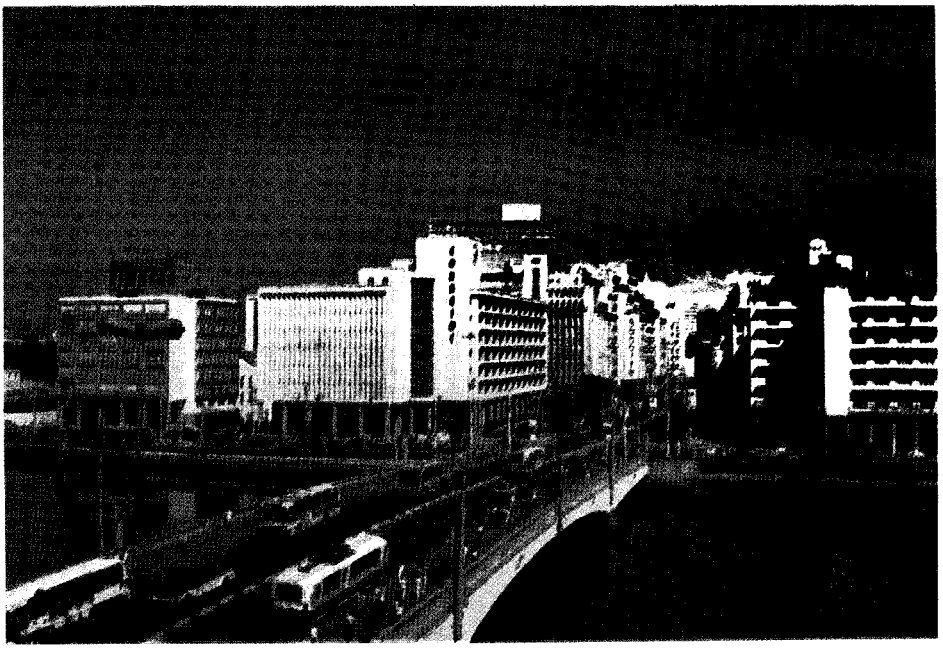

جسر عريض في رصيفي

وصلنا إلى شاطئ (كا بنكا) بعد ذلك الجسر العريض حيث وقعنا في محلته، فسلكت الحافلة شاطئاً آخر طويلا، ولكنه على نهر من الأنهار العديدة التي تجري في مدينة (رصيفي) هذه.

بلدة الأنهار الخمسة:

ولمنا سبة الحديث عن النهر الذي كنا نسير على شارع الشاطئ فيه، قال السائق: إن مدينة (رصيفي) فيها خمسة أنهار كبيرة، وستة

وثلاثون جسراً.

ويتميز شاطئ النهر على طوله وبشبهه بشاطئ البحر بأن مياهه ليست زرقاء، وبأن الأمواج فيه بخلاف شاطئ البحر الذي قبله.

وقد عرفت بعد ذلك أنه يريد بالأنهار الخمسة التي تصب في البحر، وإلا فإن رصيفي فيها نهران فقط، ثلاثة من الخمسة التي ذكرها هي فروع للنهرين.

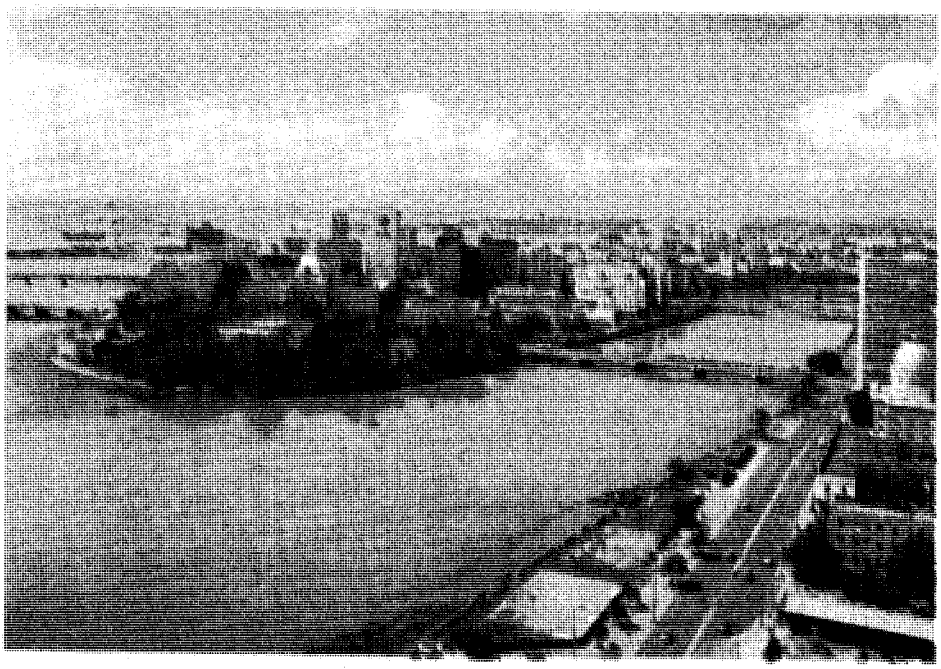

أنهار في رصيفي

وأكثر المنازل على شاطئ النهر هذا من الإسمنت المسلح، أو من لبن الأسمنت فقط، وأغلبها من طابقين، وأكثر المنازل القديمة منها هي

مسطحة السقوف.

وخصنا الدليل أنا ورفيقي الشيخ عبد العزيز المسند بالحديث، وكان سأل الركاب عند الصعود إلى الحافلة عن البلاد التي ينتمون إليها، فقال: بلادنا البرازيلية واسعة، فنحن هنا بيننا وبين سان باولو خمسون ساعة بالقطار، وهي كالمسافة بين القاهرة والرياض، يريد مجاملتنا بالحديث عن بلادنا، وإلا فإن المسافة بين القاهرة والرياض لا تصل إلى المسافة التي بين رصيفي وسان باولو، فهي أقرب من ذلك.

أما بقية الركاب فهم من ذوي الأصول البيض، ولكن بعضهم من المتغيرين لأنهم من سكان أمريكا الجنوبية التي أثر جوها تأثيراً واضحاً في ألوانهم، وإن لم يخرجهم بذلك عن دائرة البياض، ولا عن كونهم لا يزالون يعدون من البيض.

ثم وصلنا إلى منطقة عامرة من وسط المدينة الحديثة فيه الأبنية الكبيرة المتعددة الطوابق، والمحلات التجارية الكبيرة.

وعرفت بذلك ما تقرر في ذهني سابقاً من أن مدن البرازيل الكبيرة تصلح كل واحدة منها أن تكون عاصمة دولة، وأن يفتخر أهل تلك الدولة، لأنها كبيرة، ومنظمة، وفيها ما تحتاج إليه المدن الكبيرة، ومع ذلك لم أسمعهم يفتخرون بهذه المدن.

والفخر بها ليس بكبرها وكثرة سكانها فحسب، وإنما للتنظيم فيها، وكثرة المؤسسات العامة التي تشتمل عليها، بل تكون فيها المرافق التي تكون في العواصم في العادة.

مدينة رصيفي

سكان رصيفي:

سلكنا شارعاً ضيقاً مزدحماً بالناس والسيارات بحيث يصعب حتى على السائر على قدميه أن يمر من زحام الناس الذين في أرصفته وفي وسطه.

وقال السائق بهذه المناسبة: إن سكان مدينة (رصيفي) يبلغ عددهم مليوناً وسبعمائة وخمسين ألف نسمة، وهي عاصمة ولاية برنا مبوكو التي يبلغ عدد سكانها سبعة ملايين ومائتي ألف نسمة.

ومساحة الولاية هي ٢٩١، ٩٨ كيلو متر كما سبق.

وقال الدليل: إن مدينة رصيفي هي خامسة المدن البرازيلية في عدد السكان.

شارع في قلب مدينة رصيفي

وسبق أن قلت:إن مدينة سلفادور هي رابعة المدن البرازيلية من حيث كثرة السكان، والأولى هي(سان باولو)، والثانية: ريودي جانيرو، والثالثة: بيلواوريزنت عاصمة ولاية المعادن التي تسمى: (ميناس جراس).

وإذا أراد القارئ الكريم أن يطلع على ما كتبته من المشاهدات في المدن المذكورة، فإن الحديث عن المدن الثلاث الأولى هو في كتاب:

«الحل والرحيل، في بلاد البرازيل».

جسور المدينة:

سبق أن ذكرت ما قاله الدليل من أن في المدينة (٢٥) جسراً، وخمسة أنهار، وإن كان يريد بذلك فروع أنهار؛ لأن الأنهار الرئيسية فيها هي اثنان فقط.

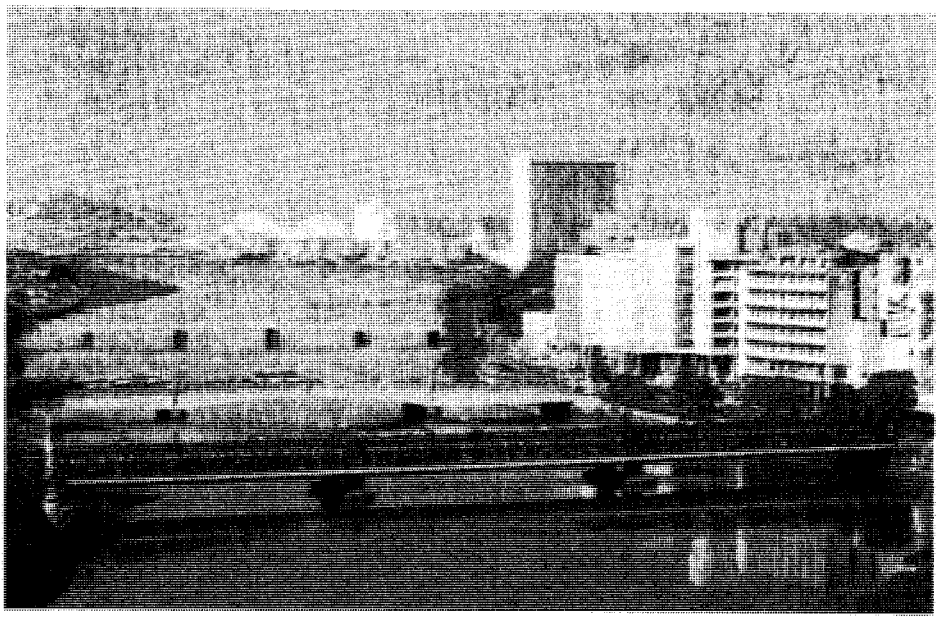

جسور في رصيفي

وهانحن الآن نمر فوق جسرين على نهر عريض يشبه في عرضه الفرع الكبير من نهر النيل في القاهرة، وعرضه بالضبط كما قال الدليل هو: (٢٥٦) متراً، ومع ذلك قال: هذا النهر ليس كبيراً؛ بل هو

متوسط السعة.

ثم عبرنا فوق جسر ثالث ذكر الدليل أن اسمه (أكيسك)، وأنه بني في عام ١٩٩٠م، وبجانبه مما يلي وسط المدينة حديقة واسعة معتنى بها.

المنطقة التاريخية:

وصلنا في منطقة من المدينة ذكر الدليل أنها تاريخية، وأن العمارة فيها ابتدأت منذ ثلثمائة وخمسين سنة، ونوه بهذا التاريخ لأن هذه البلاد على وجه العموم ليس لها تاريخ قديم يتعلق بمدنها لحداثة اكتشافها.

وقال: أول من ابتدأ العمارة فيها هم أُناس من أهل السنغال كان منهم رجل عهد إليه بإنشاء حديقة للحيوان فيها.

وفيه الآن قصر حاكم المدينة شاهدناه، وهو كبير تحيط به حديقة واسعة عليها سياج من الحديد القوي.

ويقع على ميدان نوه بأنه تاريخي لما تقدم.

متحف الفن الذهبي:

أوقف الدليل الحافلة قائلاً: سوف تشاهدون المتحف الذهبي، فظننت أنه متحف للذهب على غرار متحف الذهب العظيم في مدينة (بوغوتا)؛ عاصمة كولومبيا الذي ذكرت ما شاهدته فيه في كتاب: «رحلات في أمريكا الوسطى»، وقد طبع، ولكن عندما رأيت هذا المتحف البرازيلي رأيت أن اسمه أكبر من حقيقته بالنسبة إلى ذلك

المتحف الكولومبي، غير أنه تبين أن تسميته صحيحة، وهي (متحف الفن الذهبي)، وليس المتحف الذهبي.

دفعنا رسم الدخول ألف كروزيرو، ويساوي عُشُر دولار، أو ١٠٪ من الدولار، كما صار عوام الكتّاب يعبرون عنه بهذا اللفظ الطويل ذي الكتابة الخاصة.

وجدناه كنيسة قديمة عربية الطراز، ذات صحن تحيط به أروقة بأقواس أندلسية، وكانت هذه الكنيسة مطلية بالذهب في بعض مواضعها من الداخل، فعلق بها هذا الاسم، وكان تأسيسها في عام ١٦٩٦م، وهو تاريخ قديم بالنسبة إلى هذه البلاد.

ومع ذلك فإنها وقد صارت متحفاً تحتوي الآن على تماثيل عديدة مطلية باللون الذهبي.

وأهم ما فيها تماثيل عديدة للمسيح - عليه السلام - مصلوباً على حد زعمهم في عقيدتهم التي يكذبها القرآن، ﴿وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم﴾.

وقد رسموا على سقف هذه الكنيسة صوراً للأغنياء الذين كانوا قد تبرعوا لها بالأموال، بل إنهم عرضوا مقاعد جيدة في الكنيسة، ورسموا صور المتبرعين بها فوقها.

ونظراً إلى قلة المعروضات داخل المتحف، فقد أقاموا تماثيل عدة في مجموعات لطائفة من الرهبان والراهبات ورجال الدين عندهم، وضعوها

في أروقة الكنيسة.

داخل متحف الفن الذهبي في رصيفي

الجسر البريطاني:

مرت الحافلة فوق جسر على نهر كدر المياه يسمى الجسر البريطاني، ولما استغربت ورود ذكر بريطانيا والبريطانيين في هذه المدينة التي لم يكن للبريطانيين نفوذ معروف في منطقتها، سارع الدليل يقول للركاب: إنه سمي الجسر البريطاني لأن سفينة بريطانية كانت مبحرة في النهر، وكان عليه جسر حديدي قديم، فصدمته السفينة، وأصابته بعطب، فأصلحته الشركة البريطانية التي كانت تملك السفينة على

حسابها.

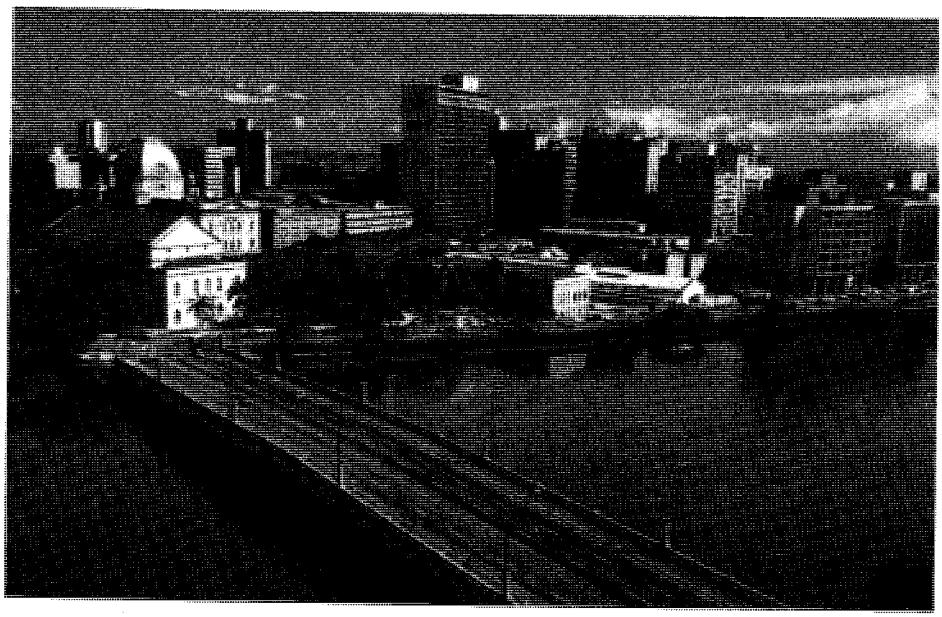

جسر طويل في رصيفي

السجن الذي صار سوقاً:

وقفت الحافلة عند سوق كبير على هيئة بناء مؤلف من عدة طوابق فيها الحوانيت، وما نسميه البسطات، وهي البضائع التي تبسط على الأرض في أرصفة الشوارع ونحوها.

وقال الدليل، وهو يوضح لنا ولمن معنا من السياح: إن لدينا نصف ساعة نستريح فيها، وتشاهدون هذا السوق العجيب الذي لا بد أن تعرفوا ماضيه، وهو أنه كان سجناً يسمى (كابي باريبي) بني عام ١٨٥٥م،

وقد أصبحت غرف السجناء الضيقة حوانيت مضاءة بالكهرباء، وإلا فإنها ليست فيها إضاءة داخلية حقيقية كافية لأنها ذات نوافذ ضيقة ليست لها أبواب.

وقد رأيناها بالفعل كذلك، ورأينا أيضاً الطارمات التي تدور معه في كل الاتجاهات، وهي التي تشبه النوافذ، ولكنها مستورة من الأمام، توضع في الحصون والقلاع ونحوها ليرى من يكونون فيها الأعداء إذا قدموا إليهم دون أن يروهم، أو دون أن يستطيعوا الوصول إلى إيذائهم.

وقال الدليل: إن هذه النوافذ الدائرة مع المبنى هي لمراقبة جميع الجهات حوله.

وصعدنا مع درج صعب المرتقى إلى الطابق الثاني وسطح الثالث، وعجز بعض السياح عن مواصلة الصعود، فقال الدليل: إن هذا الدرج فيه ٨٠ زلفة، وهي الدرجة الواحدة التي يضع من يصعد الدرج الممتد عليها قدمه.

وأكثر البضائع في هذا السوق من البضائع الخفيفة من الملابس والأحذية، رأينا طوائف من عامة الشعب يتسوقون فيها، وفيها حوانيت تضم تحفاً وهدايا ومصنوعات جلدية وخشبية، مما يشتري السياح مثله في العادة من أجل الإهداء، أو المجرد التذكار.

حديث عن السود والعرب في رصيفي:

تفرق الرفاق يشاهدون، وربما يشترون، وبقي السائق معنا،

فدعوته إلى شراب بارد في محل في السوق، وانتهزت فرصة فراغه، فسألته أولاً عن العرب في هذه المدينة (رصيفي)، فذكر أن عددهم قليل، وليسوا ظاهرين كظهورهم في مدينة(سان باولو) حيث لهم العدد الكثير، والمال الوفير، ولم يستطع أن يذكر أرقاماً لهم، وإنما ذكر أن عددهم قليل، ولكنهم موجودون، وهو بطبيعة الحال يقصد بذلك العرب من المسلمين والمسيحيين، والذي تبادر إلى الذهن أن المسيحيين يوجدون في هذه المدينة أكثر مما يوجد المسلمون قياساً على بعض المدن البرازيلية التي كانت هجرة العرب إليها قديمة، أما بعض المدن التي حل فيها العرب منذ عهد قريب، فإن بعضها يؤلف المسلمون أكثرية العرب فيها؛ لأنه هاجر إليها أيضاً بعض السوريين والفلسطينيين.

وبينما كنا نتحدث عن العرب، وقف علينا شاب من أهل البلاد المختلطين، وحيّانا بلهجة عربية، وصار يردد علينا كلمات وجملاً عربية صحيحة، فلما خضنا معه في الحديث تبين أن معرفته بالعربية قليلة، وظننته أول الأمر مسلماً تعلم هذه الكلمات من العربية لأجل دينه، فنفى ذلك، وذكر أنه من أهل البلاد، وأنه تعلم هذا القدر القليل من العربية من البحارة العرب الذين يأتون بسفنهم إلى هذه المدينة، وأنه يعمل دليلاً سياحياً للتجار الذين يقضون وقتاً قصيراً يريدون أن يتعرفوا خلاله على معالم المدينة. قال: ولكن بعض البحارة العرب يترددون على المدينة في أوقات غير منتظمة، فصرت صديقا لهم.

أما الحديث عن السود في المدينة، وهو حديث يهمني أنا، ولم أعبر هنا بالإفريقية، وهوالتعبير الأكثر تهذيباً أخذاً بالحديث الشريف: (إن

الله لا ينظر إلى صوركم وأقوالكم)، ويروي بلفظ: (وألوانكم)، (ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم) وذلك لكونهم في الحقيقة قد صاروا أمريكيين بحكم المولد والنشأة؛ بل والتاريخ القريب، وانقطعت صلتهم بالقارة الإفريقية رغم كون صلتهم باللون الأسود لا تزال ظاهرة في وجوههم.

وهو حديث يهمني على اعتبار أنه ربما تقوم دعوة إسلامية مخلصة بين ذوي الأصول الإفريقية من أهل المنطقة، فتحرك مشاعرهم القديمة، وترد أفكارهم إلى منابعهم الأصيلة التي منها الدين الإسلامي الحنيف قبل أن يتسلط عليهم المستعمرون البرتغاليون بالاستعباد، ثم البيع بالمزاد كما يباع الحيوان والجماد، مع أن الدخول في الإسلام ليس مقتصراً على من كان آباؤهم من الأقوام الذين كانوا من المسلمين، بل هو متاح لجميع العالمين، وقد رأينا ذوي الأصول الإفريقية في الولايات المتحدة الأمريكية يسلمون، وإن لم يكونوا من أنسال المسلمين، لأن الإسلام دين الله الذي أنزله هداية للناس، وبعث محمداً رسولاً ونبياً لكل أهل الأرض أسودهم وأبيضهم، ونحن نرى الآن أن طوائف من إخواننا المسلمين الجدد في أنحاء العالم كله قد صاروا من المسلمين فانتفعوا بالإسلام، وانتفعت بهم الدعوة الإسلامية أكثر من بعض أبناء المسلمين.

سألت الدليل قائلاً: كنت أظن أن عدد السود في هذه المدينة يكون أكثر مما رأيته فيها! فأجاب قائلاً:

تبلغ نسبة السود في مدينة رصيفي الآن ٢٥٪، وكانت تلك النسبة تبلغ في السابق ٦٠٪؛ غير أن كثيرين منهم تغيرت ألوانهم إلى البياض

الباهت، أو إلى السمرة، وخرجوا من دائرة السواد.

وقال وهو يشير إلى نفسه: أنا أصلي من العبيد، وأجدادي كانوا أرقاء سوداً، وقد ابيضت بشرتي قليلاً نتيجة للاختلاط بالتزاوج ونحوه.

وكان لونه هو السمرة الشديدة فقد خرج من دائرة السواد.

ولم أره تحاشى القول بأن أصله من العبيد، فلم يقل مثلاً إن أصله إفريقي، وإنما قال عبد (سليف) بالإنكليزية.

وقال: حتى البيض الخلص من البرتغاليين مثلاً لا تزيد نسبتهم في هذه المدينة على ٥٪، أما البقية، وهم الأغلبية من السكان، فهم من المختلطين ومن البيض المتغيرين الذين ينتمون إلى أصول بيض من غير البرتغاليين.

ورأينا عند مدخل هذا السوق مما يلي الشارع أُناساً يعزفون على طبول تصاحبها آلة أخرى، وجماعة يرقصون عليها رقصة السامبا التي تؤدي على موسيقى السامبا التي ازدهرت واشتهرت بالبرازيل.

مزيد من الأنهار:

تركنا السوق ومن فيه بعد أن استرحنا على زجاجات من الكوكا كولا، وعلى حديث الدليل، وهو الخبير بأمور هذه البلاد، فسرنا على ضفة نهر من الأنهار التي تشتهر بها منطقة المدينة، ورأينا في النهر جزيرة صغيرة ذكر الدليل: أن اتساعها يبلغ ميلاً واحداً، ووقفت الحافلة فوق جسر على ذلك النهر من أجل التقاط الصور، ومما يذكر أن بعض هذه الأنهار التي يذكرونها هي فروع للنهرين الكبيرين في المدينة.

وهذا النهر يصب في المحيط الأطلسي الذي تقع عليه المدينة، واسمه نهر (هيهاس)، وهو اسم هندي أمريكي مأخوذ من اسم حيوان خرافي، تقول الأساطير الهندية الأمريكية في هذه المنطقة إنه يسكن تحت الشمس، وإن له أصابع كثيرة.

وتجاوز النهر ليرينا قلعة ذكر أن الذي بناها مهندس برتغالي، أهم ما فيها أن عليها خندقاً من مياه هذا النهر يحيط بها للحماية.

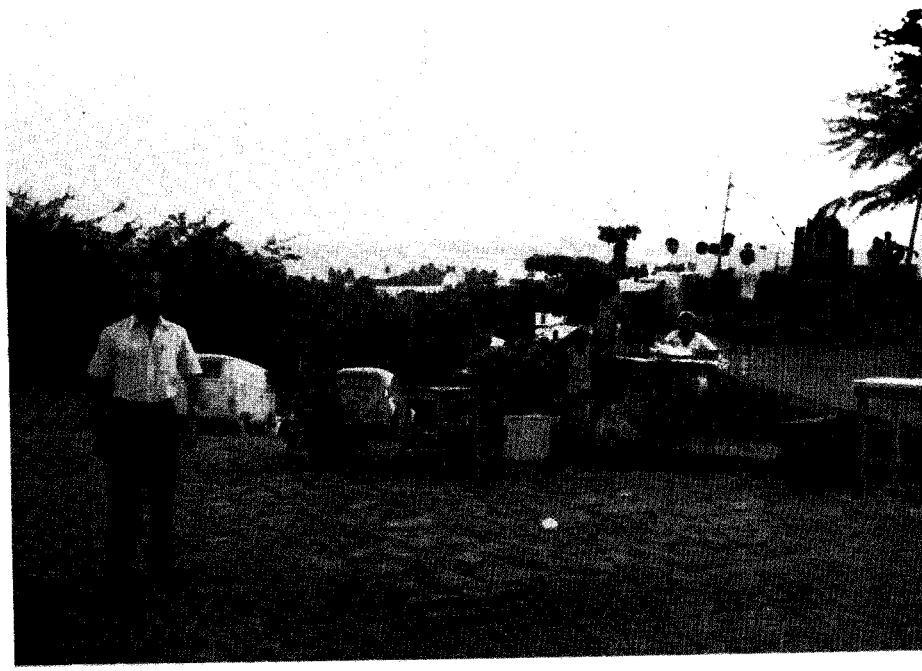

منطقة شعبية في رصيفي

ثم عاد إلى الجسر الذي كنا فيه وتجاوزه، ورأينا منه أشجار النارجيل تطل فروعها من بين منازل شعبية ومتوسطة بعيدة، فأشبهت

بذلك بعض الأحياء الجيدة من مدن إفريقية معينة مثل داكار وهراري عاصمة زمبابوي، وأرجو عفو القارئ الكريم حين أذكر بأنه إذا كان يرغب في الاطلاع على ما كتبته عن المدينتين الإفريقيتين المذكورتين، فإنه يمكنه أن يرجع إلى كتابي: ((في إفريقية الخضراء)) ، و((صلة الحديث عن إفريقية))، وهما مطبوعان، ففيهما الحديث عنهما.

مدينة أولندا

قال الدليل: سنذهب بعد قليل إلى (أولندا)، وبعض الناس لا يعرفون الآن أنها كانت منفصلة عن رصيفي، وأنها كانت في وقت من الأوقات تنافس رصيفي في الأهمية رغم قربها الشديد منها.

وسوف نذهب إليها بعد الفراغ من زيارة رصيفي، ثم قال ووجهه إلى جهة البحر التي هي الجهة الشرقية، وهو واقف في شمال مدينة رصيفي: إن رصيفي الآن عن أيمانكم، و(أولندا) عن يساركم، وبينهما أرض ريفية لا يخلو شاطئها من المنازل.

وتقع (أولندا) على التلة المرتفعة التي ترونها على البعد.

ولم يلبث طويلاً في هذا المكان، وإنما أسرع بالسيارة ليرينا شاطئاً آخر من شواطئ المنطقة، لم نره جيداً ولا نظيفاً مثل الشاطئ الذي عليه فندقنا (فندق بوفياج)، وميداناً اسمه (بوليفار).

وهو الذي يسمى محرر أمريكا الجنوبية، مع أنه لم يعمل إلا على تحرير بعض بلدانها مثل فنزويلا التي كافأته بأن جعلت عملتها على اسمه (بوليفر)، وسمت به عدة أشياء مهمة في كاراكاس.

و(بوليفيا) التي أسمت البلاد كلها على اسمه، وكولومبيا التي جعلت بيته الذي كان يسكن فيه في بوغوتا معلماً سياحياً ووطنياً.

وكان (سيمون بوليفار) يسعى إلى تحرير أمريكا الجنوبية من الاستعمارين الإسباني والبرتغالي، وجعلها دولة واحدة، ولذلك أسموا باسمه هذا الميدان في هذه المدينة، وأقاموا له تمثالاً في وسطه.

شاطئ الخليلة:

خرجت الحافلة من المدينة إلى خارجها، فوصلنا إلى شاطئ ذكر الدليل أن اسمه (هوفن بتينش)، وقال: اسمه هذا من أجل الخليلة والزوجة، وذكر أن هذا من تقليد كان موجوداً هنا، وهو أن يتخذ المرء له امرأتين: إحداهما زوجة قانونية، والأخرى خليلة، وتوصي التقاليد الشعبية المرعية هنا بالوئام وعدم الخصام بين المرأتين.

قال: إن ذلك الأمر كان تقليداً متبعاً، وليس استثناءً لبعض الناس، ثم دخلنا إلى مناطق سكنية غير مزدحمة بعيدة نوعاً ما عن وسط المدينة.

وللبرازيليين ولع عظيم بالشواطئ، فتراهم يخرجون إليها رجالاً ونساءً وأطفالاً، وأكثرهم لا يسبح فيها، وإنما يتخفف من ثيابه، وبعضهم يكاد يخرج من إهابه، ويبقون كذلك قرب البحر وكأنهم يتشمسون بشمسه، مع أنهم ليسوا بحاجة إلى ذلك لوفرة أشعة الشمس الحارة التي تدخل إلى بيوتهم، فليسوا في هذا الأمر كالأوروبيين الذين يفتقدون الشمس لفترة طويلة من الزمن، وإذا طلعت عليهم كانت

أشعتها المفيدة قد تلاشت في الغلاف الجوي المحيط بالأرض لأنها تنزل إليهم وهي أفقية أي مائلة، فتكون أجسامهم بحاجة إلى أشعة الشمس تستخلص منها الأشعة النافعة.

كما أن الأوروبيين يريدون أيضاً من الشمس أن تصبغ أجسادهم بالسمرة أو بالحمرة البرونزية.

أما هؤلاء القوم الذين يسكنون البلاد الحارة التي تنزل الأشعة من الشمس عليها عمودية أو شبه عمودية بمقادير كبيرة أكثر العام، أو طول العام، فإنهم ليسوا بحاجة إلى أشعة الشمس كحاجة الأوروبيين ومن في حكمهم في الموقع إلى تلك الأشعة، كما أنهم ليسوا بحاجة إلى تطلب السمرة أو الحمرة لأن ألوانهم في الأصل تقرب من ذلك.

ولكنهم فيما يظهر يخرجون إلى الشواطئ من أجل التعري من اللباس، والرجوع إلى الحالة التي كان عليها الإنسان في جاهليته، ومن أجل أن يتفرجوا برؤية الناس وهم على تلك الحال، ورؤية الناس أياهم وهم كذلك.

وعلى هذا الشاطئ غير الجيد كنيسة رديئة المظهر، قال الدليل: إنها للبرتغاليين.

وهنا أعطانا الدليل نشرة تتضمن أيضاً معلومات مهمة عن تاريخ (أولندا)، وذكر اسمها وتطورها.

نثبت تلخيصاً لترجمة بعض ما جاء فيها:

مدينة أولينداً:

أنشئت	عام ١٥٣٧م
عدد السكان	٣٦٠٠٠٠ نسمة
المساحة.	٢٩ كيلو متراً مربعاً
الطقس	استوائي، حار ورطب
درجات الحرارة	٢٣° - ٢٨° مئوية
خط العرض	٤٨′ ٨°
خط الطول	٤٢′ ٥٠′ ٣٤°

في عام ١٩٨٢م اعتبرت اليونسكو أولينداً واحدة من ثلاثة أماكن برازيلية كمثال للإرث الحضاري الإنساني، وقد بُنيت المدينة على ثمانية مرتفعات، وأعلى ارتفاع لها عن سطح البحر يبلغ ٥٦ متراً.

وقد قيل الكثير عن أصل كلمة أولينداً، وأكثر الأقوال احتمالاً للقبول تذكر أن الحاكم الأول لبيرنامبوكو، الذي كان اسمه دارت سولهو بيريرا هتف عندما رأى المنظر الرائع لـ منطقة ألتو داسي "Alto da St" ((آه يا للجمال))، ويعني ذلك في البرتغالية "Oh ! Linda" أولينداً.

وقد أحرق الغزاة الهولنديون أولينداً في عام ١٦٣١م، وكان ذلك نتيجة خطأ تكتيكي حربي، فقد قيل لهم بأن اسطولاً بحرياً برتغالياً

يقترب من أولِيندا ليرسو فيها، وفي الحقيقة أن عدداً قليلاً من السفن كان قادماً.

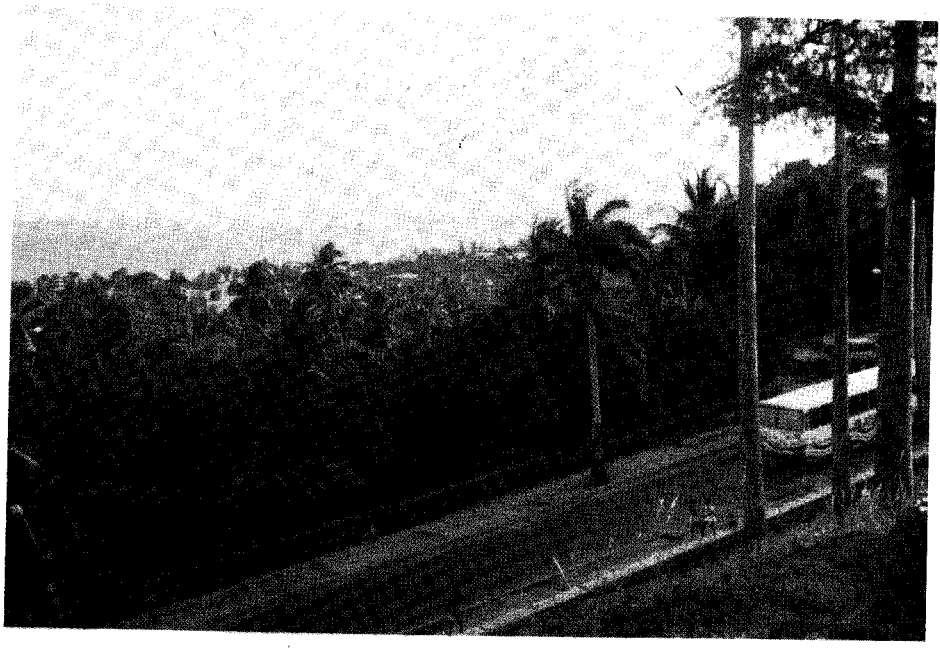

غابات النارجيل على شاطئ أولِيندا (تصوير المؤلف)

وكانت أولِيندا هي العاصمة الأولى لبيرنامبوكو، وفيها ٢٢ كنيسة كبيرة، و١١ كنيسة صغيرة، بُنيت كلها بحجارة جُلبت من المنحدرات الصخرية على الشاطئ، ولكنها لها نفس الاتجاه حيث تواجه الـ "Alto da Se" أي أعالي البحر في ذلك المكان، وتقول الأسطورة عنه: عندما كانت الحكومة البرتغالية تحارب الهنود التابا جارا "Tabajara Indians" الذين يعيشون في المرتفعات، خرج الحاكم فاسكو فيرناندس دي لوسينا من مقره، واقترب من مساكن الهنود، وأخذ فرعاً من

شجرة، وخط به خطاً على الأرض، وباسم الله تحدي الهنود بأنه من يعبر هذا الخط فسوف يموت.

وقد ضحك الهنود من هذا التهديد، وقام اثنان منهم بالمشي عابرين الخط المرسوم، فسقطا ميتين في الحال.

ولذلك، وعلى ذلك الخط المزعوم بالضبط، قام الحاكم دارت سولهو بيريرا ببناء هذه الكنيسة التي سموها حافظة العالم "The Savior of the World".

وقد عاشت أولينـدا أزهى عصورها في عهد ملوك قصب السكر "Sugar Cane Tycoons".

وكانت برنامبوكو أكبر مُصدِّر له، فقد كانت لأبواب قصور الملوك مقابض ومزالج من ذهب.

وقد ازدات أهمية أولينـدا إلى درجة أنه من عام ١٦٠١م إلى عام ١٦٠٣م اعتبرت أولينـدا العاصمة الرسمية للبرازيل، وفي ذلك الحين تم نقل مقر الحاكم البرازيلي العام من سلفادور بهية إلى عاصمة برنامبوكو.

المعالم السياحية في أولينـدا

<u>دير فرانسيس:</u>

يعتبر دير فرانسيس أول دير بُني في البرازيل في نفس العام الذي بدأ به النظام الفرانسيسي فيها، أي في عام ١٥٨٥م، ولكن المستعمرين

الهولنديين أحرقوه وأُعيد بناؤه في القرن السابع عشر.

معهد أوليندا المسيحي:

بدأ المعهد ككنيسة صغيرة بناها الحاكم دارت سولهو بيريرا في عام ١٥٥٠م، وفي الوقت الحاضر يعتبر المعهد مركز اجتماع لأبرشية أوليندا ورصيفي.

قصر الأُسقف:

يقع القصر في مواجهة ألتو داسي أعالي البحر، وكان أول كنيسة صغيرة في أوليندا، وعندما وصل أول أسقف للمدينة أصبح المبنى مقراً له، وقد جرى ترميمه في الأعوام ١٧٢٥م، و ١٧٨٥م، و ١٨٢٥م.

وفي الوقت الحاضر يشغل المبنى متحف الفنون الدينية في برنامبوكو.

كنيسة الرحمة:

تعتبر كنيسة الرحمه ثالثة الكنائس في أوليندا، وقد أحرقها الغزاة الهولنديون، وأُعيد بناؤها لاحقاً.

الغزو الهولندي لبرنامبوكو:

كان للغزو الهولندي أهمية أساسية لمحتوى التاريخ البرازيلي، وكانت النتيجة الأساسية له أنه بلا جدال قد أثار الصحوة القومية البرازيلية حيث قاوم البرازيليون الغزو الهولندي بلا مساعدة من البرتغاليين، لأن الحكومة البرتغالية للأسف قد اتفقت مع الهولنديين

على أن تتخلى عن الشمال الشرقي لهم لمدة عشر سنوات.

وبالطبع استفاد الهولنديون من الاتفاق، واستمروا في المنطقة لمدة ٢٤سنة حتى أخرجهم الفدائيون البرازيليون أخيراً.

وقد جرت أحداث المعركتين الرئيستين على مرتفع جواراربيس إلى الجنوب من رصيفي في عام ١٦٤٨م وَ ١٦٤٩م.

وقد بُنيت كنيسة صغيرة في ذلك المكان، ورُمّمت فيما بعد، وهي الآن كنيسة جواراربيس.

والآن يعتبر ذلك الموقع منتزهاً تاريخياً وطنياً.

جواراربيس كلمة هندية، وخلال الاحتلال الهولندي كانت فترة حكم الأمير موريسيو دي ناساو فترة إيجابية، فقد عزز من تطور رصيفي بتشجيعه للفنانين والرسامين، وببنائه للقنوات، وباستثماره لأرباح تجارة قصب السكر داخل المدينة.

وكان الأمير رجلاً طيباً ومحباً للبلاد، ولكن بالطبع لم تستسغ هولندا ذلك، فاستدعته إليها.

وكانت فترة حكمه من عام ١٦٣٧م إلى عام ١٦٤٤م، وبعد عشر سنوات من ذلك التاريخ، أي في عام ١٦٥٤م انتهى الاستعمار الهولندي الذي استمر لمدة ٢٤عاماً؛ حيث حارب البرازيليون بقوة، واستطاعوا أن يخرجوا الغزاة.

جوز الهند:

يعتقد الكثيرون أن شجرة جوز الهند شجرة برازيلية، ولكنها ليست كذلك، لقد أحضرها البرتغاليون من جنوب المحيط الهادئ، وقد تأقلمت مع البيئة الجديدة بسرعة كبيرة.

ولجوز الهند الأصفر خصائص طبيّة لا توجد في جوز الهند الأخضر.

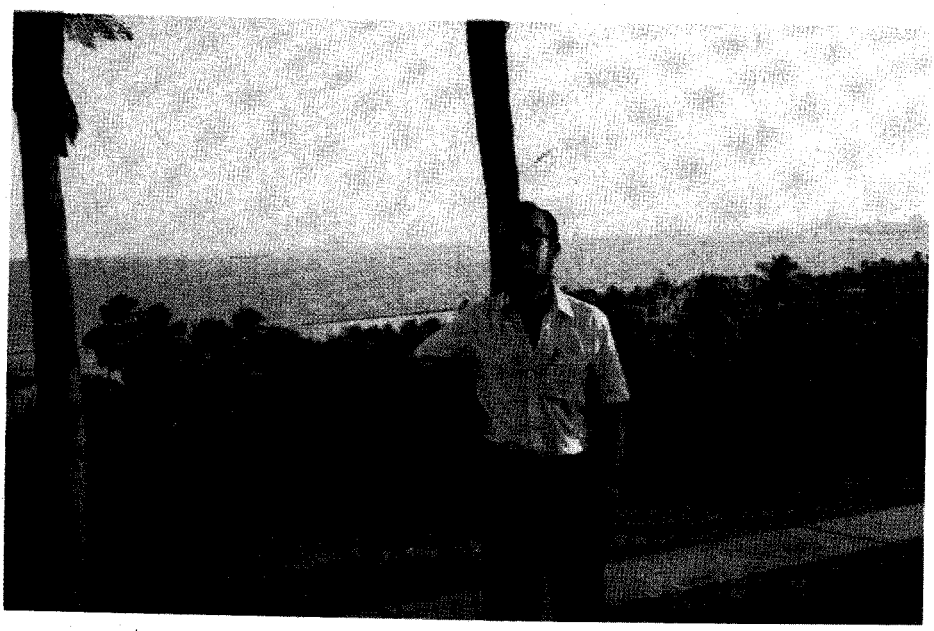

المؤلف بجانب غابات النارجيل (جوز الهند) في أوليندا

الفواكه المحلية

١ - المالجابا: شمال شرقية، غنية بالسكر، وذات عصارة تستعمل في صناعة العلكة.

٢ - جامبو: آسيوية، وهي نوعان، ولونان: أحمر وأبيض.

٣ - آمبو: شمال شرقية، تُعطي طاقة عالية غنية بفيتامين ج.

٤ - كاجا: من أوكاني، تحتوي على فيتامين ج، وخشبها يستعمل للمنحوتات.

٥ - كارامبولا: آسيا الاستوائية، وتحتوي على فيتامين ج.

٦ - آراكا: من نفس فصيلة الجوافة، وتعود نشأتها إلى أمريكا الاستوائية.

٧ - فروتاباو: إفريقية المنشأ؛ أحضرها البرتغاليون في القرن السادس عشر لإطعام العبيد، قيمتها الغذائية ليست عالية، وتنتمي إلى نفس فصيلة الجاكا.

٨ - إنجا: شمال شرقية، حلوة المذاق، وهناك أنواع منها ذات أصل أمريكي أو إفريقي أو برازيلي.

٩ - بيتانجا: شمال شرقية، مثل الجامبو والأراكا، ويعني اسمها الحمراء.

١٠ - بيتومبا: شمال شرقية، تفتقر إلى فيتامين ج، وغنية بالسكر.

١١ - مانجو هندية المنشأ من هندستان، وهناك ٥٠٠ نوع، منها ٤٧ برازيلية، جلبها البرتغاليون.

١٢ - حراقيولا: من الكاريبي أو أمريكا الوسطى، غنية بالسكر.

انتهت النشرة، ونعود إلى الحديث عن الجولة.

المنازل العربية

لم ينعتها الدليل بذلك، وإنما ذكرها بوصف يدل عليه، فقد وصلنا إلى تلة عالية من مدينة أوليندا، هي أحد أحيائها، فأرانا فيها منازل صغيرة قديمة، ووقف في عرض هذا الحي، لكي يستجلي السواح مناظر المنطقة، وذلك في شارع من شوارع هذا الحي الضيقة المرصوفة بالحجارة الصغيرة بديلة من الزفلت، وقال باهتمام وهو يشير إلى بعض البيوت القديمة: هذه بيوت عربية فيها (شرابيات)، يريد مشربيات، تكون في الطابق الثاني، وكرر ذلك، وكرر معه كلمة (شرابيات)، وقال: إن الذين بنوها جاؤوا هنا كموريسكيين.

و (الموريسكيون) هم العرب الأندلسيون، أي أن البرتغاليين جاؤوا إلى هذه البلاد في أول عهد اكتشافها، وهم ذوو ثقافة ومدنية عربية أندلسية.

وهكذا لم يغب العرب عن لسان هذا الدليل، ولا عن تعبيره.

وفي هذا الحي كنيسة قديمة مغلقة الآن لأنها قد أصابها الخراب لقدمها.

ثم تقدم السياح إلى أعلى نقطة، في هذا الحي فوق التلة، وقال: ارتفاعها الآن ثمانون متراً.

وهذا ارتفاع يسير، ولكنه مباشر، لأننا على شاطئ البحر، فيكون الارتفاع واضحاً، ولذلك صوّرته، وصوّرت أشجار النارجيل حوله من ذلك الموضع.

وأجمل ما فيه منظر شوارع تنزلق إلى البحر جميلة ومزينة، وقد غرست فيها الزهور، لذلك التقطت لها هذه الصور.

مرتفع الكنيسة:

وقفت الحافلة في مرتفع من حي أوليندا القديم يشرف على البحر، ونهرين من الأنهار الخمسة في منطقة في المدينة، فالتقطت لها صورة لم تكن واضحة بسبب البعد القليل.

السوق (الإفريقي) والشبيه بالإفريقي في أوليندا

وفي هذا المكان المرتفع أماكن تاريخية باعتبارهم، أهمها كنيسة تاريخية بالفعل؛ لأن تاريخ بنائها يرجع إلى عام ١٥٣٠م، بناها

الحاكم البرتغالي الذي كان يحكم هذه المنطقة في أول عهود الاكتشاف، وسميت التلة باسمها (أوتو دوسي)، وسي ترمز للكنيسة، وهي (الكاتدرال) بلغتهم، أو الكاتدرائية كما تترجم الآن بالعربية.

أنحن في إفريقية؟

تركنا الدليل نتمشى في سوق صغير في الهواء الطلق يشرف مثل باقي التلة على مناظر منخفضة حوله، وهذا السوق أكثر ما يباع فيه المأكولات الخفيفة، ومنها أطعمة تحتاج للتحضير مثل الطحين، وذلك كله في بسطات، وهي البضائع المنشورة على وجه الأرض، أو على موائد صغيرة مخصصة للبيع، والباعة فيه أكثرهم من السوداوات ذوات الأصول الإفريقية، وبعضهن لم تتغير ألوانهن، ولا حتى طريقة البيع عندهن؛ مما جعلني أتذكر الأسواق الإفريقية المماثلة؛ حيث تكون فيها البضائع البسيطة معروضة على الأرض مثل هذه، وتكون البائعات من النساء، وقد ذكرت ذلك في بعض كتبي عن إفريقية، ومن طريف ما رأيته منها كان في مدينة ليبرفيل عاصمة الجابون، وذكرت ذلك في كتاب: ((بقية البقية، من حديث إفريقية)).

وقد ارتحنا على شراب من ثمار النارجيل الأخضر، وأكلنا من الإربيان المشوي، وهو الروبيان بلغة بني قومنا العامة، أو الجمبري بلغة المصريين، ويشوونه لك وأنت تنظر، تفعل ذلك نساء سود ومختلطات، ورجل واحد بين البائعات من المختلطين، يشوون لك على الحطب ما شئت من لحم أو سمك أو إربيان، أو حتى الموز والجبن يشوونه، وقد أكلنا منه، وهي أول مرة نتذوق الجبن مشوياً، فوجدناه لذيذاً، ويضعون لك

كرسياً لتستريح عليه، قد يكون بدون مستند للظهر، وبعضهم يضع موائد من الخشب، جلسنا إلى إحداها، ولكنها كانت متسخة.

المكان المرتفع في أولينداا

ودعونا السائق على شيء من ذلك، فسر به ورأيت نخيلاً من نخيل الزيت، وهو يشبه نخيل التمر الموجود عندنا إلا أنه أغلظ سوقاً، وأقل رشاقة في المنظر، وسألت الدليل بهذه المناسبة عن نخلنا نخل التمر، وعما إذا كان يوجد في هذه البلاد؟ فأجاب: إنه يوجد منه ثلاث نخلات في المدينة كلها جاؤوا بها من الجزيرة العربية (أرابيا)، وعلى هذا تكون في هذه المدينة أنواع ثلاثة من النخيل: هي النارجيل ونخيل الزيت ونخيل التمر، وإن كانت نخلة التمر لا تثمر هنا.

في أحد الشوارع المنحدرة إلى البحر في أوليندا

الكنائس المغلقة:

أطال الدليل الوقوف أمام كنيسة تاريخية لأهميتها وأهمية المنطقة من محلة أوليندا القديمة التي هي من أقدم الأحياء في (رصيفي)، وإن كنا وجدناها مغلقة، وذلك لكون هذه الوقفة هي آخر فقرة في برنامج الجولة.

وقد قالت إحدى السائحات للدليل: ما بال كنائسكم التي مررنا بها كلها مغلقة؟ فقال: سوف نمر بواحدة مفتوحة.

وقد غربت الشمس، ونحن في (أوليندا) هذه، وبدأ العودة منها إلى

الفندق، ولكنه مر بإحدى الكنائس المفتوحة، ولم نر فيها إلا ستة من المصلين، ونزل اثنتان من السائحات من رفاق الجولة فصليتا بالجثاء على الركب، وهو أن يجلس المرء على ركبتيه وهو ماد بقية جسمه، وهذه الكنيسة عالية البناء، محرابها فيه أعمدة مطلية بالذهب، وتزويقات أخرى باللون الذهبي.

ثم اخترقنا ضواحي معتادة في طريق العودة، ولاحظنا كثرة السيارات في الأحياء الشعبية، وأكثرها من صناعة البرازيل، وقسم كبير منها إن لم يكن الأكبر يسير بالكحول الذي يستخرجه البرازيليون من السكر، ويستعيضون به عن البنزين.

وأخذ الدليل يوزع السياح على فنادقهم، ومنحناه حلواناً (بقشيشاً) ولم نر من منحه غيرنا من الركاب، فشكر وانحنى بالتحية.

الرقص العام بالمجان:

انعقدت حلبة بل حلبتان واسعة للرقص العام في ميدان غير بعيد من الفندق الذي نقيم فيه، وقد نصبوا في وسط الميدان منصة واسعة عليها آلات موسيقية كاملة تعزف ألحانا راقصة، ويجتذب صوت موسيقاها المارة من بعيد، فيقفون، ويرقصون، ويتفرجون، وكل ذلك بالمجان من دون دفع شيء، حتى من دون دفع تبرع للعازفين الذين اعتدنا أن نراهم ونسمعهم في مقاهي البرازيل ومشاربها العامة؛ حيث يأتي عازف وفرقة، فيعزفون ثم يدور أحدهم على الحاضرين بقبعته مقلوبة، أو بطبلة مقلوبة يجمع منهم ما يجودون به عليه من نقود، ومن لم يرد التبرع لم يكن

ملزماً بذلك.

أما في هذا الميدان، فإنهم لا يطلبون تبرعاً من أحد، ولا ندري من يتحمل نفقتها إن لم تكن من أهل السوق الذين يريدون أن يجتذبوا الناس للشراء منهم بهذه الطريقة.

وتفرجنا برؤية الناس من سائر الأعمار يرقصون ويتثنون، ورأينا أكثرهم حماسة في الرقص المولاتو، أي المختلطين والسود، ولم يكن البيض المتغيرين بعيدين عنهم، ولكنهم أقل اندفاعاً إليه.

ورأينا رجالاً يراقصون نساء لا يعرفونهن، وإنما جمع بينهم هذا الرقص المجاني في هذا المكان العام، وكل هذه الأمور يأخذونها بعفوية وبساطة، كما يأخذون سائر حياتهم، وكأنما لا يهمهم من أمور الحياة شيء، مع أنه يهمهم، وإنما يتناسون ذلك، ولا يشغلون أنفسهم إلا بهذا المرح السطحي في الحياة.

وهذا ظاهر في حياة العامة من شعب البرازيل، وهو أن يعيشوا يومهم في رقص وموسيقى وشرب، ولا يدخرون للغد أو حتى يهتموا باستثمار ما يكسبونه.

وإذا رأى المرء قلة اهتمامهم بأمور الحياة خارج هذا الإطار السهل، خيل إليه أنهم كما قال ابن جبير في سكان القاهرة عندما زارها لأول مرة: كأنما فرغوا من الحساب، أي من حساب يوم القيامة.

شاطئ العشاق:

ويقع ميدان الرقص هذا بجانب شارع الشاطئ، وهو ذو حائط

منخفض تضيئه أنوار قوية قد انعكست على مياه البحر التي كانت تتماوج في حركة خفيفة، فتتراقص على صفحتها تلك الأضواء حيث تضيء وجوه طائفة من العشاق الذين جلسوا على حائط الشاطئ، وكأنما كانت هذه الأنوار المنعكسة تعرف أن قوماً من بلاد الحياء الاستحياء، بلاد الشرق البعيد قد مروا بهؤلاء العشاق الذين لا يملون العناق، فتختفي عن وجوههم قليلا، ثم تعود إلى إظهارها للمارين السائرين على الرصيف.

والعشق في البرازيل أمر عجيب، لأن المرأة في كل مكان، وتحت عين كل (دون جوان)، والأمر الذي يهتم به غيرهم، ويعظمونه هو عند هؤلاء القوم أمر لا ينكرونه، بل لا يكاد بعضهم يلتفت حتى إلى ذكره، وكأنه أمر لا يستحق الذكر.

مطعم الشواء:

من أعجب المطاعم في البرازيل مطاعم الشواء المتميزة التي يحلو لبعضهم أن ينسبها إلى قوم من سكنة جنوب البرازيل يقال لهم القاووش، ويحلو لبعض العرب أن ينسب أولئك (القاووشيين) إلى العرب، لأنهم كانوا قد جاؤوا إلى أمريكا الجنوبية مع الإسبان، وعاشوا في جنوب البرازيل حيث حدود (باراغواي)، وكانوا تابعين لتلك الدولة إلا أن البرازيل استولت على بعض المنطقة، فسكنها أولئك القوم، ويقول هؤلاء العرب: إن لهم رقصات تشبه الرقصات العربية، وعليهم ملابس ليست بعيدة من الملابس المغربية، ولهم أغانٍ غريبة عن هذه المنطقة، والأهم من ذلك أن لهم تقاليد في الفروسية والشجاعة خاصة.

وهم رعاة بقر، وأبقارهم مشهورة بطيب لحومها، وبخاصة إذا شويت شياً.

وقد انتشرت مطاعم الشواء في أنحاء البرازيل، وهي إلى طيب مذاقها رخيصة جداً إذا قورنت بأسعار اللحوم المشوية في بقية أنحاء العالم.

وعادتهم فيها أن ينصبوا مائدة مستطيلة فيها ما اشتهيته من أنواع السلطات والخضراوات والبقول والحبوب كالأرز واللوبيا والفاصوليا وأنواع الخبز، يختار الآكل منها ما يشاء بصحنه، ويأخذ المقادير التي يريد، وقد يتردد مرتين أو أكثر من مرتين على تلك الموائد، ثم يجلس إلى مائدته في المطعم، فيأتي إليه العمال بأنواع متنوعة من الشواء من سائر أعضاء البقرة، وقد رسموا في المطعم صورة ثور ضخم على واجهة منفردة من الحائط، وكتبوا أسماء لحمه على كل عضو من أعضائه حتى يتذكر الآكل ما يريد أن يأكل منه أو يتذوقه من سائر أعضائه شواء نضيجاً لذيذاً، ويعرضون معه أيضاً شواء من الطيور وغيرها، ما عدا الأسماك فلها مطاعم خاصة بها.

كل ذلك يأتي إليك حاراً يطير دخانه، تأكل منه ما شئت حتى إذا لم تستسغ القطعة، إما لكثرة الشحم فيها مثلاً، أو لغير ذلك كان لك أن تتركها، فيرفعها العامل مع ما يرفع من فضلات في صحنك، والعمال الآخرون يواصلون عرض الأنواع المنوعة الساخنة عليك من الشواء حتى يمتلئ بطنك، ويقف جهدك عن الأكل، وربما يضيق نفسك من الشبع إذا لم تستطع أن تمنع نفسك من الأكل قبل أن تصل إلى ذلك.

كل ذلك بثمن محدد واحد، لك أن تأكل من المطعم ما تشاء، وبالمقادير التي تستطيعها، وبعد ذلك يأتون إليك بمسك الختام قهوة برازيلية ثقيلة تساعدك على مقاومة النوم بعد هذه الأكلة الثقيلة.

كل ذلك بأربعة دولارات أمريكية ونصف دفعناها لمطعم من مطاعم الشواء قريب من الفندق.

يوم الجمعة ١٤٠٦/١/٢٠هـ

صباح رصيفي:

أزحت ستارة النافذة مع شروق الشمس على منظر جليل، وهو منظر الشمس حين ترسل نهراً من الأضواء إلى صفحة البحر المحيط ربما لتحاول أن تهدئ من غلوائه، وهو يمسح رمال الشاطئ الحمر لا يفتر عن ذلك.

وكان منظر البحر في هذه الساعة رائعاً، فالأمواج كانت رفيقة بالشاطئ؛ بل رقيقة معه، والريح صارت نسيماً تداعب فروع النارجيل الخضر فتميل بحنان، وكأنما تريد أن تقبل رمال الشاطئ كما تقبل غانيات البرازيل السائح المشتاق أكثر مما يقبلهن، والجو معتدل في هذا الصباح، قد غسلت مياه البحر طيلة البارحة ما أرسلته الشمس في وسط النهار من أشعة حارقة تركت أثارها على وجوه بعض سكان المكان، وبخاصة من المولاتو والمتشمسين.

والحركة الصاخبة في الشوارع لم يشتد أوراها بعد، فما هي إلا سيارات قليلة تسير متئدة؛ لأنها لا تخشى فوات النهار، والرياضيون من

رجال ونساء يوسعون الخطى على رصيف الشارع، وبعضهم يسيرون الهوينا على رمال المحيط.

وباعة الشراب النارجيلي الطبيعي قد بكروا إلى أكواخهم يريدون أن يعمروها قبل أن يعمر المتشمسون أرض الشاطئ.

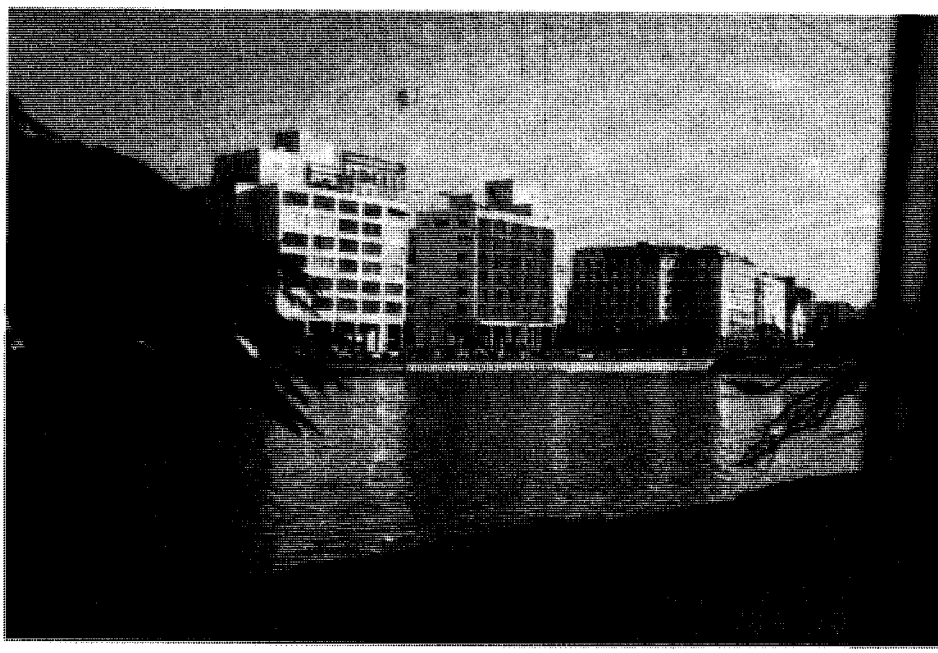

منظر من رصيفي (تصوير المؤلف)

وما أجمل موقع هذا الفندق، وما أحسن البقاء فيه يوماً أو يومين لو كنا نملك ذلك.

تعليق:

نحب أن نعلق على العنوان الذي تقدم عن (السود والعرب في رصيفي) قبل أن نغادر الحديث عنها.

فقد قلت: إنه لا توجد فيها جمعية إسلامية، وهذا هو الصحيح الذي عرفناه خلال زيارتنا لها، وبعد تلك الزيارة.

إلا أنه وردني بعد ذلك من جماعة من الإخوة المسلمين كتاب يبشر بأنهم بسبيل إنشاء جمعية إسلامية في (رصيفي)، فكان فرحي بذلك غامراً؛ لأن معناه أنه سيكون في هذه الولاية النائية عن عاصمة البرازيل، وعن مراكز تجمع المسلمين فيها وجود للمسلمين، نرجو أن ينمو ويتسع، حتى يشمل ما كان منها جهة الشمال، وسوف أورد نص الكتاب المذكور أو البشارة السارة.

بسم الله الرحمن الرحيم

فضيلة الشيخ محمد بن ناصر العبودي

الأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته

نتقدم لحضرتكم نحن الأعضاء المؤسسين للمركز الإسلامي بمدينة ريسيفي

رئيساً	رمضان بن حاج إدريس	جزائري
نائب الرئيس	محمد رأفت الرشيدي	مصري
مدير ثقافي	مراد حاج إدريس	جزائري
مدير فاكس	محمد أسامة جحا	سوري
سكرتير	ناصر مازيلي المرسل	برازيلي

نقدم لحضرتكم ملخصاً لما قمنا به حتى الآن تحت رعاية وتوجيه من الأخ الكريم محمد أحمد أبو فارس؛ الذي تعرفنا عليه أولاً عن طريق كتبه القيمة، وثانياً حينما سافرنا في العام الماضي، والتقينا به في شهر رمضان المبارك في مدينة سان باولو، ودرسنا معه إمكانية إقامة مركز ثقافي إسلامي في ريسيفي.

عن مدينة ريسيفي نعرف سيادتكم أولاً أنها تقع في شمال شرق البرازيل، وتعتبر المدخل الأول للبرازيل عن الطريق الجوي أو البحري، ويبلغ عدد سكانها مع البلاد التي حولها حوالي الثلاثة ملايين، ولكن

للأسف لم يهاجر إليها جالية إسلامية كبيرة؛ حيث إن المهاجرين فضلوا جنوب البرازيل.

وحيث إن معظمنا حديثو العهد بهذه المدينة؛ حيث نقيم فيها منذ ١٠ إلى ١٥ سنة، أحسسنا هنا بتعطش أهل البلد للإسلام، وحاجتهم الماسة لمعرفة المزيد عن ديننا الحنيف.

وكانت البداية حينما دعينا لعمل مناظرة في إحدى إذاعات المدينة جمعت ممثلين عن جميع الأديان تقريباً ليتحدث فيها كل صاحب دين عن مبادئ وأهداف دينه، وكانت مناظرة شيقة نجحنا فيها والحمد لله كثيراً، وفوجئنا بوجود برازيلي يؤيد كل ما قلناه، ويعلن للجميع أنه درس، وقرأ عن جميع الأديان، إلى أن وجد في دين الله الإسلام ما كان يتمناه.

وهذا هو الأخ ناصر المازيلي المرسل الذي دعيناه بعدها تقديراً لإيمانه لزيارة القاهرة، وأشهر إسلامه على يد شيخ الأزهر في العام الماضي، والحمد لله.

بعد هذه المناظرة انهالت علينا التليفونات، وزارنا كثير من أهل المدينة يودون معرفة المزيد، وفوجئنا بمزيد من البرازيليين المسلمين؛ سواء بقلوبهم، أو بحبهم للإسلام والمسلمين.

لذلك قررنا التفكير في عمل مركز إسلامي، وبتوجيه من الأخ الكريم محمد أحمد أبو فارس قمنا بتسجيل المركز، ونشرنا خبر إنشائه في الجريدة الرسمية، بعنوان ومقر مؤقت على محل عمل نائب

رئيس المركز.

وانهالت علينا الاستفسارات، وزارنا كثير من أهل المدينة، وزارتنا إحدى محررات الصحف المحلية، وعملت معنا ومع نائب رئيس المركز حديثاً صحفياً كبيراً عن أهدافنا وأهداف المركز، وعن الدين الإسلامي ومبادئه، ونشر الحديث في صفحة كاملة، ولو أن الصحيفة وضعت مقالاً مهولاً عن تخوف الهنود وذعرهم في شمال البرازيل وجنوبها من إنشاء أول مركز إسلامي في ريسيفي، وأن يكون وراء إنشائه أغراض سياسية وإرهابية.

فلم نعر لذلك اهتماماً حيث يعلم الله هدفنا، وهدفنا الأساسي والوحيد هو نشر دين الإسلام الحنيف بكل السبل، وبالطرق السلمية.

وعقدنا أول اجتماع دعونا إليه في ليلة القدر من شهر رمضان الماضي، وفوجئنا بحضور ضعف ما توقعناه؛ حيث حضر الاجتماع أكثر من ثلاثين شخصاً تحدثوا جميعاً عن ترحيبهم الكبير، وسعادتهم بإنشاء المركز، وعن حاجة المدينة، وأهلها لمعرفة المزيد عن الإسلام، واللغة العربية.

كما فوجئنا بأن من بينهم من هو مسلم قد هداه الله عن طريق الكتب، ووجدنا بينهم أحد المواطنين، وعمره (٧٠ سنة)، ولا يعرف عن الإسلام غير ترجمة معاني القرآن الكريم بالبرتغالية، وقد أتم قراءته أكثر من (٧٠ مرة)، وقد دخل الإسلام قلبه منذ أول مرة قرأ فيها القرآن الكريم... وغيره مما ينقصه القليل ليعلن إسلامه، وكان اجتماعاً ناجحاً شجعنا كثيراً على وجوب الاستمرار، وإكمال المشوار.

وأخيراً عندما وصلتنا الدعوة للمشاركة في حفل وضع الحجر الأساسي للمسجد الجديد في كامبو جراندي، وحضور سيادتكم، والمسؤولين عن نشر الإسلام في العالم، عقدنا اجتماعاً آخر حضره أكثر من (٤٠ شخصاً) بعضهم ممن حضر الاجتماع الأول، وبعضهم حضر لأول مرة، وهكذا شعرنا بوجود المزيد، وكل ذلك دون الإعلان في الصحف، أو دعوات رسمية؛ بل بالاتصالات الشخصية، وعن طريق التليفون أحياناً.

وكان من رأي الجميع أن يسافر وفد لحضور هذه المناسبة؛ رغم بعد المسافة (ست ساعات ونصف بالطائرة)، وتكوّن الوفد من رئيس المركز ونائبه وأحد الأعضاء لشرح كل ما قمنا به حتى الآن، وما نشعر به من احتياج مدينة كبيرة كريسيفي إلى مركز إسلامي لنشر تعاليم الإسلام، ونشر اللغة العربية، والثقافة العربية التي يعشقها الملايين، وخاصة المحرومين منها لعدمها وصعوبة وصولها إليهم بالطريق السليم، أو بوصولها أحياناً عن طريق التحريف والتخريف.

لذلك نحن هنا - والحمد لله - رغم بعد المسافة لندعو سيادتكم للتكرم بزيارتنا إذا اتسع وقتكم بذلك، ولنشرح لسيادتكم أهدافنا التي بدأناها دون عون إلا من الله، ولم يكن وراءنا، ولن يكون إلا رضا الله، ولم يساعدنا حتى الآن إلا الأخ الكريم محمد أحمد أبو فارس بتوجيهاته، وكتبه القيمة التي تصلنا ونوزعها لوجه الله، والتي نعتبرها من أحسن ما كتب باللغة البرتغالية لسهولتها؛ سواء التي كتبها، أو التي ترجمها.

وسوف تكون خطوتنا القادمة - بإذن الله - هي دعوته إلى زيارتنا،

لنشر كتابه الجديد عن المرأة في الإسلام، وعمل عدة محاضرات، والرد على أسئلة واستفسارات كل من يريد، ونحن على ثقة كاملة بأن مثل هذه الندوات سوف تنجح، وسوف يكون لها فضل كبير في ضم المزيد من محبي الإسلام، ونحن على ثقة بأنهم كثيرون جداً في ريسيفي، ولا ينقصنا إلا اكتشافهم، ووجود مكان لجمع شملهم.

يمثل المراكز في هذا الوفد الأخ الرئيس رمضان حاج إدريس، وكاتب هذا التقرير نائب الرئيس محمد رأفت الرشيدي، والأخ البرازيلي كيصر سوبريرا؛ صحفي في مجلس نواب المحافظة، وعاشق ومحب للإسلام والعرب والمسلمين، قضى مدة كمراسل لإحدى صحف ريسيفي في الأرض المحتلة، وناصر إخواننا هناك بمقالاته الصادقة حتى طرد وعاد إلى البرازيل، وهو معنا ليشرح لحضرتكم عن حاجة ريسيفي إلى هذا المركز، وسوف يقوم بإعلان إسلامه على يدي فضيلتكم، وعلى مشهد من الذين سيحضرون هذا الحفل في كامبو جراندي.

وفقنا الله جميعاً لما فيه خير الإسلام والمسلمين. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

عن المركز الإسلامي

رئيساً رمضان حاج إدريس

نائب الرئيس محمد رأفت الرشيدي.

وعندما وردنا الخطاب، وتحققت من صحة ما جاء فيه، بادرنا بإرسال مساعدة رمزية من رابطة العالم الإسلامي، هي عشرة آلاف دولار أمريكي لتساعدهم على استئجار مقر صغير مؤقت لاجتماعهم، ولأداء صلواتهم، وهو مبلغ رمزي قليل عندنا، ولكنه يساوي أكثر من ذلك بكثير بالنسبة إلى تدني قيمة العملة البرازيلية، ورخص الأشياء عندهم.

وعندما زرت البرازيل بعد ذلك تلبية لدعوة؛ بل رجاء من إخوتنا المسلمين في مدينة كامبو قراندي اجتمعنا بهؤلاء الإخوة، فقدموا هذا الكتاب، وقدموا معه أخاً لنا مسلماً جديداً، ذكروا أنهم عرفوه بالمصادفة، وذلك أن تلفاز (رصيفي) أعلن أنه يمنح كل أرباب دين من الأديان مدة قصيرة من الوقت من التلفاز، وبدون أجر، من أجل أن يتكلموا عن دينهم، حتى تكون فائدة ذلك ثقافة دينية للمستمعين.

قالوا: فاجتمعنا، ونحن ثلاثة مسلمين، وذهبنا للتلفاز لنتحدث فيه، فإذا بنا نفاجأ بأن الذي يقدم البرنامج، وهو رجل إذاعة وصحافة مشهور، يعلن لنا بأنه مسلم، ولكنه لم يكن يعرف أنه يوجد في (رصيفي) مسلمون.

وقد ذكر من قصة إسلامه أنه ذهب إلى فلسطين موفداً من جريدتين برازيليتين ليكون مراسلاً لهما من هناك. قال: فالتقيت بأحد صيادي السمك الفلسطينيين، فرأيته يصلي، فحدثني عن الإسلام، ورغبني فيه، فأسلمت.

قالوا: وقد انضم الرجل إلينا، فأسسنا الجمعية الإسلامية، وأسميناها (الجمعية الخيرية الإسلامية في رصيفي).

هذا وقد التقيت بالأخ المسلم البرازيلي المذكور في مدينة كامبو قراندي، فأخبرته بأشياء أراد معرفتها عن الإسلام، ووجدته مسلماً عن دراسة واقتناع، نفع الله به.

ثم تلقينا من الإخوة هؤلاء كتاباً آخر ذكروا فيه أنهم يسعون إلى إيجاد مركز إسلامي في رصيفي، وهذا بعض ما جاء في كتابهم:

...

بعد أن قدمنا لسيادتكم تقريراً عما قمنا به منذ إنشاء المركز الثقافي الإسلامي بريسيفي، حتى الآن برنامجنا وأهدافنا، كذلك طلباتنا من الرابطة حتى يوفقنا الله لتحقيق ما هو خير للإسلام والمسلمين:

أولاً: المرحلة الأولى:

١- أن تتكرم رابطة العالم الإسلامي باعتبار المركز الثقافي الإسلامي بريسيفي برنامبوكو من المؤسسات المتعاونة مع الرابطة، وتحت رعايتها.

٢- أن يكون الاتصال بالمركز إما مباشرة، أو عن طريق سفارة المملكة العربية السعودية في البرازيل.

٣- أن تتكرم الرابطة بأسرع ما يمكن لمساس الحاجة بإرسال بعض الكتب باللغتين: العربية والبرتغالية، خاصة ترجمة معاني القرآن الكريم، ومبادئ ديننا الحنيف.

٤- مساعدة مالية لتغطية مرتب مدرس لمبادئ الإسلام، ولتعليم

اللغة العربية نظراً لحاجة النشء الإسلامي، والبرازيليين المتعطشين هنا للإسلام، ولتلقي مبادئ العقيدة بلغة القرآن الكريم.

٥- بناء على اقتراح فضيلتكم، وسؤالكم عن مدى إمكانية الحصول على بضع دقائق يومية، أو أسبوعية، وعمل برنامج إذاعي تلفزيوني لنشر مبادئ الإسلام باللغة البرتغالية، لذلك نحتاج مساعدة مالية لتغطية مثل هذا الاقتراح.

ثانياً: المرحلة الثانية:

بما أن المركز يسعى لدى السلطات المعنية للحصول على أرض لبناء المسجد والمدرسة والمنتدى الاجتماعي والثقافي، وبعد حصولنا على الأرض سنجمع التبرعات إن شاء الله من أبناء الجالية وغيرهم، ثم نخبركم عن تكاليف المشروع الإجمالية كي تتكرموا بمد يد العون الكريمة التي تعود المسلمون على أفضالها من المملكة العربية السعودية لتكملة ما يتبقى من أعمال المشروع إن شاء الله.

بعد هذا نحتاج إلى إمام مسجد يتولى ترشيد الجالية الإسلامية وتوجيهها حسب كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وعقيدة السلف الصالح.

وفقنا الله وإياكم لما فيه خير الإسلام والمسلمين. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

هذا وقد حصلوا بعد ذلك بالفعل على أرض واسعة منحة من رئيس بلدية رصيفي، مع أنه ليس بمسلم، ولكنه متعاطف مع المسلمين، وتساوي تلك الأرض مبلغاً كبيراً من المال، إلا أنهم لم يستطيعوا الحصول على المال اللازم لبناء المركز. وقد أرسلنا لهم مبلغاً قليلاً أقاموا به مركزاً صغيراً مؤقتاً يصلون فيه على هيئة قاعة متواضعة، وهم يجمعون الآن المال لبناء المركز، إلا أن المسلمين في الولاية عددهم محدود، والإخوة من المسلمين الآخرين في البرازيل بعيدون عنهم، لذلك لم يستطيعوا حتى الآن أن يجمعوا مبلغاً مجزياً من المال، إلا أنهم وضعوا حجر الأساس تفاؤلاً للمركز، ودعوني لحضور حفلة وضع حجر الأساس، فأنبت عني صديقي وأخي السفير السعودي في البرازيل الأستاذ عبد الله الحبابي، فكرم - جزاه الله خيراً - بأن حضر الاحتفال، وألقى كلمة نيابة عني بهذه المناسبة.

ثم أرسلنا لهم إماماً يؤمهم في الصلاة، ويعلم صغارهم، ويرشد كبارهم، وهو الشيخ مبارك الصاوي من مشايخ الأزهر، تعاقدنا معه في رابطة العالم الإسلامي على أن تدفع الرابطة راتبه وما يتبعه هناك، نسأل الله تعالى أن يهيئ لهؤلاء الإخوة المسلمين من يقوم ببناء هذا المركز الإسلامي المهم، أو من يساعدهم على ذلك، وبخاصة أن البلدية تطالبهم بالبناء على الأرض التي منحتهم إياها، وإلا اضطرت إلى الرجوع في الهبة بمقتضى نظام لهم في هذا الخصوص.

وتعليق آخر:

وهذا التعليق يتناول ذكرى الزعيم الإفريقي البرازيلي (زومبي) الذي أقام أول دولة للبرازيليين الأفارقة، وتقدم ذكره.

والتعليق ليس من عندي، ولكنه محاضرة أرسلها إلينا الأخ الشيخ أحمد صالح محايري، أحد الدعاة الذين أرسلتهم دار الإفتاء في المملكة العربية السعودية إلى البرازيل بناء على مشورة مني، وذلك بأن الأخ الشيخ أحمد صالح المحايري كان أحد تلامذتنا في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، ومنذ تخرجه منها عمل داعية في غرب إفريقية مبتعثاً من رئاسة الإفتاء، ثم انتقل إلى البرازيل على إثر زيارتي الأولى لها في عام ١٣٩٠ هـ، ولا يزال يعمل في البرازيل.

قال الشيخ المحايري:

الحمد لله، وأفضل الصلاة، وأتم السلام على رسول الله محمد، وعلى جميع رسل الله، وعلى آلهم وأصحابهم أجمعين.

أيها الحفل الكريم: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

إن تكريمنا للزعيم المناضل زومبي؛ زعيم الجالية الإفريقية في البرازيل يعتبر تقديراً لكل من وقف معه قديماً وحديثاً في نضاله من أجل الحرية والانعتاق من الرق والعبودية، وهذا يعني أننا نحيي من أعماق قلوبنا كل الداعين لهذا الاجتماع من المسؤولين البرازيليين، وينسحب هذا التقدير والإعجاب على الدستور البرازيلي الذي منع الرق، ومنح للمواطن البرازيلي حرية الفكر والعقيدة.

وللدلالة على العوامل المؤثرة في أفكار الزعيم زومبي التحررية لا بد من تتبع جذور العقيدة التي كان يحملها الأفارقة عندما جيء بهم إلى البرازيل قبل الاستقلال، فالكشف عن عقيدتهم يوضح لنا العوامل التي جعلت الأفارقة رغم ظروفهم القاسية، وعهد رقهم الطويل يؤمنون بالحرية، ويناضلون من أجلها بصبر وثبات إلى أن حصل لهم ما أرادوا بقرار من الأميرة إليزابيل التي حررت الأرقاء في أرض البرازيل عام ١٨٨٨م، وها أننا نحتفل اليوم بمرور مائة عام على هذا القرار العادل المشكور الذي أدى بالمنحدرين من الأفارقة البرازيليين في ظل هذا القرار من أداء واجبهم في المشاركة ببناء البرازيل وتقدمه، وذلك من خلال عقيدتهم وثقافتهم التي لا تزال آثارها ظاهرة بوضوح في سلفادور، وريودي جانيرو، وغيرهما من المدن الساحلية.

إن الإسلام المبكر في إفريقيا، والذي أصبح الغالب على قارتها، جعل الأفارقة يتأثرون بثقافته قديماً وحديثاً؛ إذ أن أغلب الأفارقة الذين جيء بهم إلى البرازيل كانوا من المسلمين؛ بدليل تلك الصحف التي حملوها معهم إلى البرازيل يؤمنون ببركتها، ويحافظون عليها، ويوصي الآباء بها أبناءهم وأحفادهم، رغم بعد المسافة وطول الزمن، والتي كشف عن بعضها معهد الدراسات الإفريقية الشرقية في باهيا، فوجد فيها آيات قرآنية، وأدعية مأثورة عن النبي محمد ﷺ، وهي بين أيديكم اليوم.

ومن أجل تتبع ومعرفة العقيدة الإسلامية الغالبة على الفكر الإفريقي وتاريخه المبكر، نستعرض معكم في هذه المحاضرة قصة

إسلام الرعيل الأول من الأفارقة الذين دخلوا في الإسلام في أيامه الأولى، وتحملوا ألوان العذاب من أجل الحرية التي منحهم إياها الإسلام، لنؤكد أن عوامل النضال التحرري المتمثلة في الزعيم زومبي ورجاله استندت على نفس الأسس العقدية التي قام عليها النضال الإفريقي القديم في ظل الإسلام.

تشير المراجع التاريخية العلمية المعتمدة لدى الجميع أن حالة العالم في بداية القرن السابع الميلادي كان يسود في اغلبه منطق القوة والظلم، فتجارة الرقيق كانت رائجة، واحتقار المرأة، والجهل والطغيان كان عاماً، والتمييز العنصري للعرق واللون والدين كان السمة الرسمية في كثير من الدول، أما عقيدة الشرك والوثنية، وعبادة الأصنام، فكانت منتشرة عند القبائل، أضف إلى ذلك التدني الخلقي الذي اتسمت به تلك الفترة مما لا مجال للتفصيل فيه، وكان المؤمنون المسيحيون ينتظرون بشارة السيد المسيح عليه السلام فيمن سيأتيهم بعده ليعيد ملة التوحيد بشريعة تنشر العدل بين الناس، وبات الجميع ينتظرون الخلاص، فولد النبي محمد ﷺ عام ٥٧١م، وبعثه الله رسولاً ونبياً عام ٦١٠م، يدعو لعبادة الله وحده، ونبذ عقيدة الشرك والوثنية، ويدعو للإيمان بكل رسل الله الذين جاؤوا قبله بلا استثناء، ويحرم التمييز العنصري والقبلي، وكان يقول: (لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى والعمل الصالح، كلكم لآدم، وآدم من تراب)، وكان يدعو الناس لطلب العلم، وجعله فريضة عليهم جميعاً، ليس حقاً فقط، والفرق واضح بين الحق والفريضة... فاستجاب الناس لهذه الدعوة على اختلاف

أجناسهم وطبقاتهم، إلا أن الفقراء والأرقاء والمضطهدين كانوا أسبق من غيرهم في الاستجابة لهذا الدين الذي جمعهم على كلمة : (الله أكبر) ذات المعنى التحرري العميق، إلا أن المرتزقة باسم الوثنية والشرك خافوا على مصالحهم الدنيوية من الدعوة لإنهاء التجارة بالأوثان والأصنام، كما كبر على العنصريين أن يؤاخي الإسلام بينهم وبين السود وبين الفقراء والمستضعفين، ويسوي بينهم في الحقوق والواجبات. وأما تجار الرقيق، فرأوا أن الإسلام الذي يدعو للتحرر يشكل خطراً على تجارتهم، فتحالف أصحاب المصالح جميعاً لمقاومة الإسلام، والتصدي لمحمد ﷺ وأتباعه بالأذى والملاحقة والتصفية، فقامت كل قبيلة في مكة تعذب من وقع تحت يدها من المسلمين لصرفهم عن الإسلام. ومكة المكرمة التي لا تبعد عن الساحل الشرقي لإفريقية أكثر من (٢٥٠ كيلو متراً) كان فيها جالية إفريقية من السود، أسلم أغلبها في أيام الإسلام الأولى، وكان أولهم بلال بن رباح الحبشي الذي كان رقيقاً لسيده أمية بن خلف، إذ لما علم أمية بإسلام رقيقه بلال أخذ يعذبه، ويضربه بالسياط، ثم يضعه في الصحراء تحت الشمس، ويضع فوقه الصخرة العظيمة، ثم يسلمه للأطفال يضربونه، ويجرونه في الأسواق، وهو ثابت على إسلامه يقول: أحد، أحد.

وحدث مرة أن ورقة بن نوفل الكفيف، الذي كان ضالعاً في علوم النصرانية، مر فسمع بلالاً يقول: أحد، أحد، فطلب من سيده أن يطلقه قائلاً: أطلق هذا العبد. وكف عن أذاه، فإن ما يقوله حق وصواب، إن الله أحد أحد. ولكن أمية استمر في تعذيبه إلى أن اشتراه المسلم أبو

بكر الصديق، وأطلقه في سبيل الله حراً.

إذ كان الميسورون من المسلمين يشترون الأرقاء لإطلاقهم في سبيل الله، فأبو بكر مثلاً اشترى خمس رقيقات، هن: أم عبيس، وزنيرة، والنهدية، وابنتها، وجارية بني مؤمل، كن مسلمات، فعذبوهن لإسلامهن، فاشتراهن أبو بكر، وأطلقهن في سبيل الله، كما اشترى أبو بكر: عامر بن فهيرة.

وبلال كان سابعهم الذي رفع الإسلام شأنه حتى صار مؤذن رسول الله ﷺ، وكان أول من صعد على الكعبة بعد فتح مكة ليؤذن: الله أكبر، بعد أن تطهرت مكة من الرجس والأوثان، وهذا فضل لهذا الرقيق الأسود الذي حرره الإسلام لم يصل إلى مثله كثير من أصحاب رسول الله ﷺ.

إن كان مثل هذا الرعيل الأول من الأفارقة المسلمين خارج الأرض الإفريقية، فلدينا مثل لبدء الإسلام داخل القارة الإفريقية السوداء، التي قدر الله تعالى أن تكون قاعدة للإسلام وفكره التحرري في سنواته الأولى قبل المدينة المنورة عاصمة الإسلام الأولى، وتفصيل ذلك أن مشركي مكة لما اشتدوا في تصديهم للمسلمين وتعذيبهم أذن النبي محمد ﷺ لأتباعه بالهجرة إلى الحبشة قائلاً لهم: إن بها ملكاً لا يظلم الناس عنده، فأخذ المسلمون عام ٦١٥م يتسللون من مكة سراً إلى الحبشة فراراً بدينهم وفكرهم التحرري، وتتابعت هجرة المسلمين إلى الحبشة حتى بلغوا نحو ثمانين رجلاً، وثماني عشرة امرأة، فيهن ابنة رسول الله محمد ﷺ رقية مع زوجها عثمان بن عفان.

فوجدوا في الحبشة الحرية التي مكنتهم من عبادة الله وحده، فأدرك كفار مكة خطورة تسللهم وهجرتهم، فبعثت قريش وفداً منها إلى ملك الحبشة يطلب تسليمها المسلمين لإعادتهم إلى مكة، ولما وصل الوفد إلى الحبشة قال لملكها النجاشي: ((إن نفراً من قومنا رغبوا عن ديننا، ولم يدخلوا في دينك، ونزلوا أرضك، وجئنا في طلبهم))، وكان ملك الحبشة مؤمناً مسيحياً عادلاً، فقال لهم: لا أسلمكم إياهم حتى أسمع منهم، وأرسل في طلب المسلمين إلى قصره، وقال لهم: ما هذا الدين الذي اتبعتموه وفارقتم من أجله دين قومكم؟ فقال جعفر الذي تكلم باسم المسلمين: ((أيها الملك، كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، حتى بعث الله نبياً منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونقطع عبادة الحجارة والأوثان، وأمرنا بالصدق والأمانة ووصل الرحم وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء والفواحش وشهادة الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئاً، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، فصدقناه وآمنا به، فعدا علينا قومنا، فعذبونا، فخرجنا إلى بلدك، واخترناك على من سواك، ونرجو أن لا نظلم عندك))،

فقال النجاشي: ما أحسن ما يدعوكم إليه هذا الدين.

فقال وفد قريش للملك: إن هؤلاء يشتمون عيسى بن مريم وأمه!

فقال النجاشي لجعفر: وما تقولون في عيسى؟ فقال له: عبد الله ورسوله، ثم قرأ عليه سورة مريم من القرآن الكريم الذي يشهد بعفتها، ويبين

كيفية ولادة السيد المسيح معجزة الله، وكيف أجرى الله على يديه معجزات خارقة تدل على صدق رسالته، فبكى النجاشي وقال: والله ما زاد عيسى على هذا، اذهبوا فأنتم آمنون في أرضي، من سبكم غرم.

ورفض النجاشي تسليمهم، وأقام المسلمون في الحبشة نحو أربع عشرة سنة ينعمون بالأمن والإيمان، وولد لبعضهم في الحبشة أولاد إلى أن قرروا العودة إلى المدينة المنورة.

وتتوثق علاقة النجاشي مع رسول الله ﷺ إذ أرسل له النبي عام ٦١٧م رسالة يدعوه فيها إلى الإسلام، فدخل النجاشي فيه، فكان أول ملك مسلم، ولما مات النجاشي في عام ٦١٩م في الحبشة أقام النبي عليه في المدينة صلاة جنازة الغائب، وقال لأصحابه: استغفروا لأخيكم، وبذلك اعتبرت القارة الإفريقية أول قاعدة للإسلام قبل المدينة المنورة بسنوات.

والسؤال هنا: لماذا انشرح صدر هذا الملك المسيحي المؤمن للإسلام ودخل فيه؟

لأنه أدرك أن الدعوة الإسلامية لا تتعارض مع أصل المسيحية لا في العقيدة، ولا في التعاليم، فالإسلام يدعو إلى الإيمان بالله وعبادته وحده، ويتضمن الوصايا العشر، وزيادة عليها، ويبشر بطهارة السيدة مريم العذراء، وتكريم أهلها من آل عمران، كما ويدعو للإيمان برسالة السيد المسيح عيسى بن مريم، ويبشر بمعجزاته التي أظهرها الله على يديه، أضف إلى أن الإسلام يحرم التمييز العنصري الذي حرمه عيسى بن مريم، ولعلم النجاشي أن المسيحية متفقة على أن السيد

عيسى المسيح رسول الله بشر بمن سيأتي بعده يدعو للتوحيد ونصرة المظلوم، فما المانع من أن يكون محمد هو بشارة عيسى - عليهما الصلاة والسلام -؟ وإن لم يكن محمد ﷺ هو بشارة عيسى، فأين هذه البشارة وقد مضى عليها عشرون قرناً إلا خمسين سنة!.

إن العالم اليوم يمر بأزمات أخلاقية وسياسية انعكست على الاقتصاد العالمي الذي أصبحت فيه نسبة كبيرة من المحرومين والفقراء والمضطهدين لعرق أو لون أو دين، ولا يسع المؤمنين بالله إلا أن يكونوا مع أهل الإيمان لنصرة إخوانهم في كل مكان في قضاياهم العادلة في الحرية، وخاصة أولئك المناضلين الذين أضناهم التمييز العنصري في جنوب إفريقيا وغيرها، ليشعر الناس جميعاً: أبيضهم وأسودهم أن الله الرحمن الرحيم خالقهم من أب واحد وأم واحدة ليمنح المؤمنين السعادة في هذه الدنيا وفي الآخرة.

ومن هذا المنطلق نشارك اليوم في ذكرى الزعيم زومبي الذي حمل معه من جذوره الإسلامية إلى البرازيل مفاهيم التحرر، والجذور الإسلامية تعني ما قاله النبي محمد ﷺ في حجة الوداع التي توفي بعدها بأربعة أشهر: (... أيها الناس، إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم، وإنكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم... اسمعوا وأطيعوا وإن أمر عليكم عبد حبشي ما أقام فيكم كتاب الله، فلا ترجعن بعدي ضلالاً يضرب بعضكم رقاب بعض، إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم، وآدم من تراب، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، ليس لعربي فضل على عجمي، ولا لأبيض على أسود إلا

بالتقوى، ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب).

والحمد لله رب العالمين.

وتعليق آخر على بهية وعاصمتها سلفادور:

وهو أنه أصبح فيها نشاط إسلامي، فقد أسست فيها جمعية إسلامية، وعين فيها داعية من قبل المملكة العربية السعودية، بمعنى أنها تدفع راتبه، وإن لم يكن سعودي الجنسية، وشيء مهم، وربما كان تفاؤل المهتمين بالشؤون الإسلامية في البرازيل لم يصل إليه، وهو أن طائفة من المثقفين، وكبار الموظفين من أهل بهية، من ذوي الأصول الإفريقية، أسلموا، وأسسوا مركزاً إسلامياً في المدينة الرئيسية الكبيرة في البرازيل، وهي (سان باولو) بهدف دعوة غير المسلمين إلى الإسلام، سواء أكانوا من أهل بهية أم غيرهم، وقد اجتمعت بعدد منهم في إحدى زياراتي إلى البرازيل بعد ذلك، فوجدت عندهم حماساً للدعوة، وفيهم من أساتذة الجامعات، ورؤساء الإدارات الحكومية عدد كبير، شرح الله صدورهم للإسلام، فصاروا من الدعاة إليه.

وصدق الله العظيم: ﴿وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم﴾.

مغادرة رصيفي:

نقدنا فندقنا الودود وأهله اللطفاء أجرته ثلاثمائة ألف وخمسة كوزيرو لليلة الواحدة، ويساوي ذلك نحو(٣٠) ثلاثين دولاراً ونصف الدولار، داخلة فيها قيمة الإفطار الجيد المنوع من إفطار الموائد المفتوحة الشائع في جميع فنادق البرازيل وأنزالها، وما أرخصه بموقعه وحسن معاملة أهله، وحداثة منطقته.

وغادرنا (رصيفي) مع طائرة الخطوط الجوية الفرنسية (أير فرانس) في الحادية عشرة والنصف ليلاً

والمقرر أن تصل الطائرة إلى باريس في الثانية عشرة ظهراً من يوم غدٍ السبت، فنبقى في باريس يوماً واحداً، ونغادرها مع السعودية يوم الأحد إلى جدة.

وقد بلغت مدة الطيران من (رصيفي) إلى باريس ثماني ساعات وثلثاً، وهذا أمر جيد بالمقارنة بالسفر من (ريودي جانيرو) إلى باريس الذي يستغرق إحدى عشرة ساعة في الوسط.

المحتويات

صورة عن شهادة التكريم التي حصل عليها المؤلف ٣
كتب مطبوعة في الرحلات للمؤلف ٥
مؤلفاته المطبوعة في غير فن الرحلات ١١
تصدير ١٣
سبب الرحلة ١٤
خارطة توضح الولايات البرازيلية ١٦
ولاية بهية ١٧
من برازيليا إلى (سلفادور) ٢٤
في مطار (سلفادور) ٢٧
مدينة(سلفادور) ٢٩
جولة نصف الليل ٣١
بلاد المختلطين ٣٢
وولاية المسلمين الضائعين ٣٤
وعاصمة البرازيل ٣٦
الجولة في المدينة ٣٧
في وسط المدينة ٣٩
مشية الاسترخاء ٤١
جولة في (سلفادور) ٤٥
أجمل مكان في (سلفادور) ٤٦
السود والهنود ٤٧
الملعب الكبير ٤٩
سكان بهية ٥٠
الكنيسة التي بناها المغاربة ٥١
منطقة ماء النارجيل ٥٢
محلة الحرية ٥٣
ميناء القوارب الصغيرة ٥٤
ميناء آخر ٥٦
وقفة في المنطقة التاريخية ٥٨
من أشلاء الذكريات الإسلامية ٥٩
موضوع مهم ٦٢
في داخل الكنيسة التاريخية ٦٣
مقهاة المنطقة التاريخية ٦٥
حديث عن الهنود ٦٨
ميدان روما ٦٩
في سوق إفريقي ٧١
وسط المدينة ٧٢
العرب والمسلمون في (سلفادور) ٧٣
الطبول في السوق ٧٦
النسناس في المطعم ٧٧
نهاية الجولة ٧٩
على شاطئ البحر ٨٠
السفر إلى المطار ٨١
في طريق المطار ٨٢
الرمال الملونة ٨٤
قرية سانتو كرستوفر ٨٦
الطريق المظلم ٨٧
مغادرة (سلفادور) ٨٧
عبور على ولاية الأقواس ٩١
من سلفادور إلى رصيفي ٩٣
هل أنا كنغرو؟ ٩٥
في مطار ماسيو ٩٦
ولاية برنامبوكو ١٠١
من ماسيو إلى رصيفي ١٠٩
في مطار رصيفي ١١٠
مدينة(رصيفي) ١١٢
وفي المساء؟ ١١٥
جولة في رصيفي ١١٦

قصر الحاكم..... ١٢٠
قلعة الخمس زوايا..... ١٢٠
الكنيسة الذهبية..... ١٢١
بدء الجولة في مدينة رصيفي..... ١٢٢
العرب والعربية في الجولة..... ١٢٤
شاطئ كابنكا..... ١٢٥
بلدة الأنهار الخمسة..... ١٢٦
سكان رصيفي..... ١٢٩
جسور المدينة..... ١٣١
المنطقة التاريخية..... ١٣٢
متحف الفن الذهبي..... ١٣٢
الجسر البريطاني..... ١٣٤
السجن الذي صار سوقاً..... ١٣٥
حديث عن السود والعرب في رصيفي.... ١٣٦
مزيد من الأنهار..... ١٣٩
مدينة أوليندا..... ١٤١
الغزو الهولندي لبرنامبوكو..... ١٤٢
جوز الهند..... ١٤٦
الفواكه المحلية..... ١٤٧
المنازل العربية..... ١٤٩
مرتفع الكنيسة..... ١٥٢
أنحن في إفريقية؟..... ١٥٣
الكنائس المغلقة..... ١٥٥
الرقص العام بالمجان..... ١٥٦
شاطئ العشاق..... ١٥٧
مطعم الشواء..... ١٥٨
صباح رصيفي..... ١٦٠
تعليق..... ١٦٢